

المنهج الإصلاحي

سمات وتحديات وسائل

تأليف

د. محمد بن عبد الله بن هزور



موسم

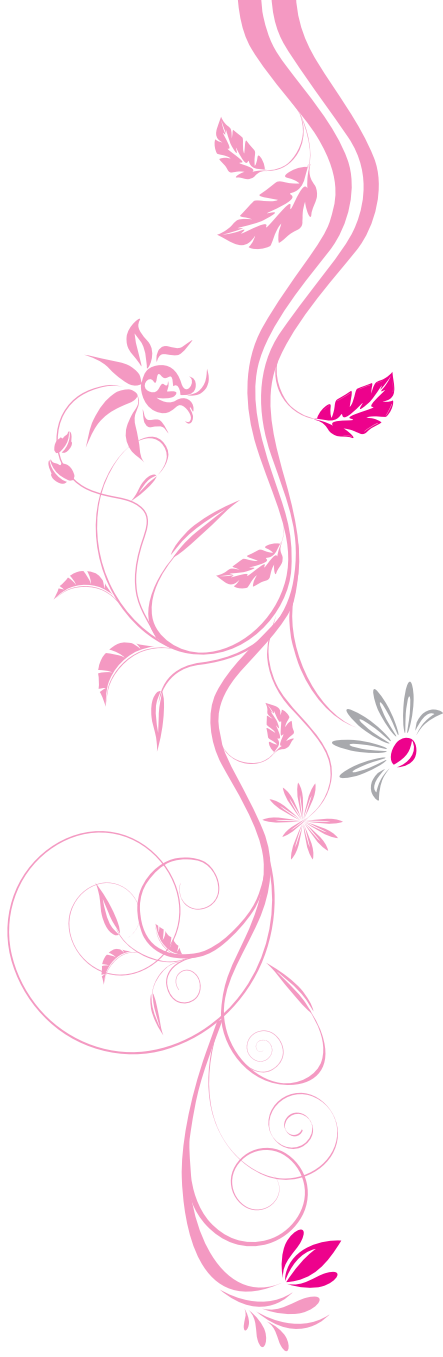
قدّم له

فضيلة الشيخ الدكتور

ياسر بن هزور

فضيلة الشيخ

عادل نصر



الْمِنْهَجُ الْإِسْلَامِيُّ

بِمَنِّهِ وَتَحْدِثِهِ وَوَسَائِلِهِ



حقوق الطبع محفوظة

كتاب الخلفاء الراشدين

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

رقم الإيداع

٢٠١٨/٣١٥٢٥ م



توزيع



دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية - مصطفى كامل

بجوار مسجد الفتح الإسلامي

٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧ - ٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦

كتاب الخلفاء الراشدين

الإسكندرية - أبو سليمان ش عمر

أمام مسجد الخلفاء الراشدين

٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦ - ٠١٠٠٥٠١٣١٥١

المنهج الإسلامي

سمات وتحرير وسائل

تأليف

د. محمد بن عبد الله منزه

قدم له

فضيلة الشيخ
عادل نصر

فضيلة الشيخ الدكتور
ياسر برهناوي

توزيع

دار الفتح الإسلامي

دار الخلفاء الراشدين

المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

الإدارة: ٠١٠٥٠١٣١٥١



راسلونا على صفحتنا على الفيس بوك: «دار الخلفاء الراشدين»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نقدیم

فَضْلُهُ السَّبْحُ الرَّكْعَةُ

يَا سُبُّرُهَا مِي

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن قضية الإصلاح هي قطيفة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال شعيب

عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

[هود: ٨٨]، وورثة جميع الأنبياء هم أمة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فوظيفتهم في الإصلاح ورثوها

عنهم جميعاً والمنهج الإصلاحى الذى جاء به الأنبياء يبنى الحق ويهدم الباطل، يعمر الدنيا



بالدين، ولا يخرّبها ويحقّق لأهل الحق - وهم أهل السنة والجماعة - خير الدنيا والآخرة، وهذا المنهج له سمات وأهداف ووسائل وتواجهه عقبات وتحديات لا بد من مواجهاتها وقد بذل الأخ الفاضل الكريم د. محمد إبراهيم منصور جهده في تحلية ذلك وتحليته في كتابه الممتع (سمات المنهج الإصلاحي) فجزاه الله خيراً ونفع به في الدنيا والآخرة.

كتبه

يَاسِرُ بَرْهَسَانِي

تقديم فضيلة الشبغة عادل نصر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ثم أما بعد، فالصلاح ضد الفساد والإصلاح ضد الإفساد قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] قال أهل العلم: أي: تفسدوا فيها بالشرك والمعصية بعد إصلاحها بالتوحيد والطاعة، والإصلاح غاية عظيمة سعى إليها الأنبياء والرسل قال تعالى على لسان شعيب عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ومن عظم شأن الإصلاح أدعاه حتى المفسدون في الأرض ولكن هيهات لهم هيهات قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] فكذبهم ربهم في دعواهم وقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بل بلغ الأمر بالمفسدين أن رموا أهل الإصلاح بل أئمتهم بالإفساد تنفيراً منهم وصرفاً للناس عنهم كما حكى الله عَزَّوَجَلَّ عن فرعون إذ قال عن موسى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، ولا عاصم للأمم من الهلاك إلا بالسعي في إصلاحها وأن يكون أهلها مصلحين، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون وحقيقة الإصلاح هو الانتقال من حالة السوء والتردي إلى حالة النهوض والاستقامة وإقامة العبودية بمعناها الصحيح وأمتنا المكلمة اليوم أحوج ما يكون إلى السعي في الإصلاح في كافة المجالات العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات

والمفاهيم والتصورات ونظم الحياة ؛ لتخرج من كبوتها وتعود إلى سابق مجدها وعزها
فتقود ركب البشرية التائهة إلى مرضي الله ومحابه بعدما تنكبت تكلم البشرية الطريق
وعاث المجرمون في الأرض فسادًا حتى ضج من فسادهم السهل والجبل والبر والبحر
فأذاق الله الناس بعض ما عملوا.

ولن يتحقق الإصلاح إلا بالمنهج الإصلاحى الرباني فهو السبيل الموصل دون
غيره من المناهج المنحرفة التي تفسد ولا تصلح وتهدم ولا تبني وتدمر ولا تعمر وإن
ادّعى أصحابها خلاف ذلك؛ ولذا انبرى أخونا المفضل د. محمد إبراهيم وهو رجل من
خيرة من أنجبت الدعوة السلفية الإصلاحية المباركة نحسبه والله حسيبه إلى كتابه هذا
البحث المبارك المنهج الإصلاحى السمات والتحديات والوسائل.

فدونك أيها القارئ الكريم هذا الكتاب فإنه نافع إن شاء الله، والله أسأل أن يتقبله
من كاتبه ويجعله له ذخراً، وأن يجعلنا وإياه وسائر إخواننا من المصلحين إنه ولي ذلك
والقادر عليه.

كتبه

عادل نصر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فإن المنهج الإصلاحي هو المنهج الرباني الذي سار عليه الأنبياء ومن تبعهم من المصلحين على مر الدهور والعصور، قال الله **عَزَّجَلَّ** على لسان شعيب **عَلَيْهِ السَّلَام**: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] ولهذا المنهج الإصلاحي سمات تميزه عن غيره، ولحملته سمات تميزهم عن غيرهم، وقد وجدنا أن المنتسبين للحركة الإسلامية على ثلاثة أقسام:

- قسم يتبنى المنهج العاطفي الصدامي للتغيير، وهم على درجات متفاوتة في العاطفية والصدامية، وهذا المنهج يؤدي إلى فساد وإفساد لا يعلم مداه إلا الله.

- وقسم محبط يأس من حدوث أي صورة من صور الإصلاح، وهؤلاء اليائسون المحبطون يؤول أمر الكثير منهم إلى ترك الالتزام بالكلية أو إلى البحث في الجانب العاطفي الصدامي عن مخرج مما أصابهم من اليأس والإحباط.

- وقسم يتبنى المنهج الإصلاحي.

ولما كان المنهج الإصلاحي هو المنهج الذي نرتضيه جميعاً، ونتقرب إلى الله **عَزَّجَلَّ** به، فقد جعلت هذه الرسالة المختصرة لبيان أهم سمات وتحديات ووسائل هذا المنهج؛

ليحرص إخواننا الكرام على تفعيل السمات في أنفسهم، وبيانها لغيرهم، والعمل بها في مسيرتهم الإصلاحية، وتجنب ما يخالفها، واتخاذ الوسائل التي تضمن الاستمرار والنمو والتأثير؛ لأن البعض من إخواننا أحياناً يستسلم بفكره أو يقع تحت ضغط المناهج الأخرى، فبينما يصرح أنه يتبنى المنهج الإصلاحي، إذا به يفكر بالطريقة العاطفية أو الصدمية أو اليائسة المحبطة، ويصدر هذه الطريقة في التفكير لغيره من حيث لا يشعر، ولذلك أهيب بإخواني جميعاً أن يقفوا وقفة تأمل مع هذه السمات ويعملوا على تحويلها إلى واقع عملي، وكذلك لا يغفلوا عن التحديات والعقبات، ويكونوا دائماً متيقظين حريصين على استمرار منهجهم الإصلاحي وسط هذه التحديات.

وقد قسمت الرسالة إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: السمات وهي:

السمة الأولى: الربانية.

السمة الثانية: الشمولية.

السمة الثالثة: منهج قائم على العلم والعمل والدعوة والتربية والتزكية.

السمة الرابعة: وضوح المفاهيم.

السمة الخامسة: تعظيم أمر الدماء، والاعتدال في النظر إلى المجتمعات ومؤسسات

الدول الإسلامية.

السمة السادسة: مراعاة السنن الشرعية والكونية في الإصلاح والتغيير.

السمة السابعة: منهج لا يأس معه ولا إحباط.

السمة الثامنة: التدرج والعمل على جلب المصالح وتعظيمها، ودرء المفسدات

وتقليلها.

السمة التاسعة: طبيعة حركة المنهج في المجتمعات كالنهر الجارى لا كالصخور المتحدرة.

السمة العاشرة: حملة المنهج هم أصحاب النفوس الكبار لا أصحاب النفوس المشوهة.

السمة الحادية عشرة: منهج يحمل في طياته عوامل الإحياء الحضاري.

الفصل الثاني: التحديات والمعوقات:

١ - تحديات عالمية.

٢ - تحديات إقليمية.

٣ - تحديات محلية.

٤ - معوقات داخلية.

الفصل الثالث: وسائل المنهج الإصلاحي للعمل في وجود تلك التحديات والمعوقات، ومع ذلك يحقق الاستقرار والنمو والتأثير.

إنما يتسنى هذا كله من خلال التركيز على عدة وسائل أو العمل على عدة محاور:

المحور الأول: على مستوى الأفراد.

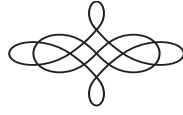
المحور الثاني: على مستوى المنهج.

المحور الثالث: على مستوى الكيان.

المحور الرابع: على مستوى المجتمع والمؤسسات والنظم العامة للحياة (صناعة التأثير).

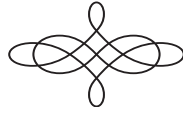
فالله أسأل أن يجعل هذا عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارؤه ومن أعان على نشره.





الفصل الأول

سمات المنهج الإصلاحي





السمة الأولى

الربانية

ربانية المنهج الإصلاحي تعني انتسابه إلى الرب **عَزَّجَلَّ** في أصله ومصدره، وفي وسائله ومسلكه، وفي غاياته ومقصده.

فربانية الأصل والمصدر، تكون بالرجوع إلى الوحي كتاباً وسنة قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿أَتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقال: ﴿أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فلا بد للمنهج الإصلاحي من الرجوع في أصله ومصدره إلى الكتاب والسنة بفهم أعلم الناس بالكتاب والسنة وهم الخلفاء الراشدون والقرون الخيرية، ففي الحديث الشريف: «فإنه من يعيش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

لكن كيف يتحقق هذا، وهناك مستجدات جديدة كل يوم، بل كل لحظة؟

الجواب: لا بد أن نعلم أن الشرع جاء بنوعين من الأحكام:

- أحكام تفصيلية، كأحكام الخمر والربا وتفاصيل المواريث.
- وأحكام عامة تطبق على المستجدات، فيعرف حكمها بناء على هذه القواعد؛ كقاعدة «الأصل في المعاملات الحل ما لم تخالف نصاً شرعياً أو قاعدة شرعية»، وكذلك قاعدة «المشقة تجلب التيسير»، وقاعدة «لا ضرر ولا ضرار».

يقول الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] فأثبتت الآية منافع في الخمر والميسر لكنها أثبتت أن مفسدهما أكبر من منافعهما، ومن أجل هذا كان التحريم.

ولذلك فكل مستحدث غلبت مفسدته على مصلحته منع من أجل هذا.

أما ربانية الوسيلة والمسلك، فإن الوسائل تأخذ حكم الغايات، فإذا كانت الغايات شريفة فلا بد للوسائل أن تكون كذلك؛ سواء كانت هذه الوسائل متعلقة بوسائل إصلاح الفرد والأسرة، أو كانت وسائل متعلقة بإصلاح المجتمع، أو كانت متعلقة بإصلاح نظم الحياة، وسواء كانت هذه الوسائل دعوية أو اجتماعية أو سياسية.

وهنا نذكر مقارنة مختصرة بين بعض مبادئ السياسة الميكافيلية وما يقابلها من مبادئ السياسة الشرعية ليظهر جلياً أن ربانية الوسيلة والمنهج فيها من الرفق والرحمة ما لا يعلمه إلا الله.

ففي السياسة الميكافيلية فيما يتعلق بالفضائل والمبادئ والأخلاق، فالأمير عند ميكافيلي ينبغي ألا يهتم بقضايا الأخلاق والمبادئ كالعدل والظلم والخير والشر، فغاية الأمر النهائية التمكين لسلطانه والتعظيم لقوته، ولذا فعليه اللجوء إلى كل الوسائل التي تؤدي إلى هذا بغض النظر عن أخلاقياتها ولو لجأ إلى الرذائل.

والوفاء بالوعد عند ميكافيلي فقط إذا عاد عليه بالنفع، فإن لم يكن، وجب أن يكون غداراً.

أما في السياسة الشرعية؛ فالأصل أنها سياسة مبادئ وأخلاق، فهذا النبي صلى الله عليه وسلم في حالة حرب في بدر يأتيه رجالان من المسلمين يريدان القتال معه، لكنها

أخبراه أن المشركين اعترضوا طريقهما وأسروهما، ولم يطلقوا سراحهما حتى أعطياهم العهد ألا يقاتلوهم مع المسلمين، فقال النبي ﷺ: «لا تقاتلوا معنا نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم».

أما الرحمة في قاموس السياسة عند ميكافلي، فإنه يرى أنها تؤدي إلى الفوضى، وأنه يجب على الأمير أن يتسم بالقسوة، فالقسوة عنده أساس الملك؛ لأن الناس في نظره شريرون لا يصلحهم إلا القسوة.

أما في السياسة الشرعية فإن عنوانها «الرحماء يرحمهم الرحمن» «ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء» ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

أما ربانية الغاية والمقصد، فإن أصحاب المنهج الإصلاحي غايتهم الكبرى: ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، همهم عالية، ونفوسهم كبيرة، وهكذا تجد ربانية الغاية والمقصد وابتغاء وجه الله ﷻ بكل عمل سواء كان عمل دعوي أو اجتماعي أو سياسي، لا يبتغي أصحاب هذا المنهج بعملهم جزاء ولا شكوراً، إنما يبتغون وجه الله والدار الآخرة.

فعلى الصعيد الدعوي، قال النبي ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئاً».

وفي الحديث: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».

وعلى الصعيد الاجتماعي، يقول الله ﷻ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال **عَنْجَلٍ**: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿[الإنسان].

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم» وقال: «لأن أمشي في حاجة أخي حتى أثبتها له خير من أن اعتكف في مسجدي هذا شهراً».

وعلى الصعيد السياسي، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم - إمام عادل».

وقال: «من ولاه الله **عَنْجَلٍ** شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره».

وإذا كانت حقيقة العمل السياسي في هذا المنهج تدور حول إصلاح نظم الحياة، فإن كل حركة في هذا المجال تكون داخلة تحت هذه الآية: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]، وتكون داخلة ضمن صور المعروف المراد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وهكذا يكون المقصد وراء أي عمل إصلاحي إنما هو ابتغاء وجه الله والدار الآخرة؛ ليكون السالك في هذا المنهج عبداً لله **عَنْجَلٍ** في كل أحواله، وبكل أعماله، وفي جميع أوقاته، سواء كان عمل دعوي أو اجتماعي أو سياسي ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام].



السمة الثانية

الشمولية

وهي تتضمن:

- ١- شمولية العلم والتعلم والتعليم، فتهتم بفروض الأعيان وفروض الكفايات وما يلزم من العلوم لإصلاح الفرد والمجتمع ونظم الحياة.
 - ٢- شمولية التصور الإصلاحي (إصلاح الفرد والأسرة - إصلاح المجتمع - إصلاح نظم الحياة عقيدة وعبادة علماً وعملاً).
 - ٣- شمولية العمل والتحرك للإصلاح، وهي تعني أنه يعتني بكل المجالات على كل المستويات والفئات، لا يتحيز لمجال على حساب مجال آخر، ولا لمستوى على حساب مستوى آخر، ولا لفئة على حساب فئة، ولا لقضية على حساب أخرى.
- نعم هناك ترتيب للأولويات لكن ليس هناك إغفال لأي من هذه الأشياء، فالمنهج الإصلاحي يضع من ضمن أولوياته الإصلاحية (الإصلاح في مجال الاعتقاد، ومجال العبادة، ومجال الأخلاق والسلوك، ومجال الفكر، ومجال المعاملات، ومجال الدعوة، ومجال الإصلاح الاجتماعي، ومجال الإصلاح الاقتصادي، ومجال الإصلاح السياسي).
- والمنهج الإصلاحي لا ينحاز لفئة على فئة بل يتعامل في رؤيته الإصلاحية مع الأطفال كما يتعامل مع الشباب، ويتعامل مع المرأة كما يتعامل مع الرجل، ويولي اهتماماً للفقراء كما أنه يشمل في رؤيته التعامل مع الأغنياء.
- يتعامل مع كل فئات المجتمع وطبقاته.

ونذكر بعض الأمثلة، وبالمثال يتضح المقال:

*** في مجال إصلاح العقيدة،** وما يمكن أن يطرأ عليها من خلل، نجد النبي ﷺ وهو في حالة حرب يمر هو وأصحابه على قوم لهم شجرة، يعلقون عليها سيوفهم تبركاً، يقال لها: ذات أنواط، فيقولون له: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «لقد قلتُم كالذي قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]».

بل إن النبي ﷺ لم ينتظر حتى يحدث الخلل فنبّه على أصول الاعتقاد ولوازمه، ولم يفرّق في هذا بين صغير وكبير، فهذا هو يقول لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وها هو يقول لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هل تدري ما حق الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ بن جبل»، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق العباد على الله أن لا يعذبهم».

*** وفي مجال العبادة:** نبّه النبي ﷺ على ما يمكن أن يكون من خلل في حينه، فيقول للمسيء صلاته: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ثم يعلمه كيفية الصلاة.

*** وفي مجال الأخلاق والسلوك:** نجده يعلم الصحابه كيف تكون الأخلاق العالية السامية فيقول: «ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه»، ويقول: «الراحمون يرحمهم الله»، ويقول: «خيركم خيركم لأهله».

* وفي مجال المعاملات الاقتصادية: يمر بالسوق فيجد طعاماً يباع، فيضع يده في باطنه، فيجد البلبل، فيقول: «من غش فليس منا».

ويأتيه بلال بتمر جيد فيقول: «أكل تمر خبير هكذا؟» جنيباً «جيداً» فقال له: لا، بعت الصاع بالصاعين، فقال ﷺ: «أَوْه أَوْه، عين الربا، عين الربا» ثم أمره برده وبيع الجمع «الرديء» بالدراهم، وابتع «اشترى» بالدراهم جنيباً «جيداً».

وهذه صورة من صور ربا الفضل (أن يبيع مطعوماً بجنسه وأحدهما أكثر من الآخر) ولهذا نهاه النبي ﷺ عنها.

* وفي مجال السياسة والإصلاح السياسي: يقول النبي ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»، ويقول: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم - إمام عادل»، ويقول: «من ولّاه الله شيئاً من أمر المسلمين، فاحتجب عن حاجتهم وفقيرهم احتجب الله دون حاجته».

* وفي مجال القضاء: يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

ويبين النبي ﷺ أن أساس العدل هو القضاء بحكم الله عز وجل فيقول: «القضاة ثلاثة: اثنان في النار، وواحد في الجنة، رجل عرف الحق ف قضى به فهو في الجنة، ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار في الحكم فهو في النار، ورجل لم يعرف الحق ف قضى للناس على جهل فهو في النار».

* وفي مجال السلم والحرب: يقول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

ويقول: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

ويقول النبي ﷺ: «لا تقتلوا طفلاً ولا امرأة».

ويقول: «ألا من ظلم مُعاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حَجيْجُه يوم القيامة».

الإسلام منهج حياة:

عن سلمان رضي الله عنه أن المشركين أتوه متسائلين بسخرية واستهزاء قائلين: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراء.

فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجى باليمين، أو أن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجى برجيع أو بعظم.

نأخذ من هذا الحديث ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: أن منهج التشكيك في الإسلام وثوابته وقضاياه وأحكامه منهج واحد على مر الدهور، من أول ظهور الإسلام إلى اليوم، بنفس الطريقة، وهو التركيز على قضية واحدة بالتشكيك، حتى إذا وصل لتشكيك المسلم فيها توصل بذلك إلى التشكيك في غيرها، حتى وصل الأمر بكثير من الشباب في ذلك إلى الانحلال ثم الإلحاد. فقد ركز المشركون هنا على قضية واحدة، هي قضية أحكام الخلاء وسموها باسم منفر كأنهم يقولون: «هل يستحق الخلاء كل هذا الاهتمام حتى يفرد نبيكم ﷺ بهذه الأحكام؟!».

الفائدة الثانية: هي كيفية التعامل مع مثل هؤلاء المشككين.

أولاً: تثبت هل ورد هذا في القرآن؟ هل قال النبي ﷺ هذا؟ هل هذا الحكم ثابت؟ وإن لم نفهم الحكمة منه ففهم الحكمة أمر زائد «يزيد الإيـان بهذا الحكم فإن جهلنا الحكمة فلا يعني هذا أن الحكم غير ثابت بل نتهم أنفسنا ولا نتهم ديننا».

ثانيًا: إذا ثبت الحكم رفعنا به رؤوسنا ولم نخجل ولم نتخاذل ولم نهرب، بل نفعل كما فعل سلمان إذ قال: أجل.

لم يقل: أن هذا الحكم كان خاصًا بالبدو، أو خاصًا بقوم يجهلون هذه الأمور وليس عامًا، أو خاصًا بزمان دون زمن، وإنما قال: أجل، ثم أخذ يعدد لهم أحكام آداب الخلاء وتفصيلها ليرغم أنوفهم ويقطع طمعهم.

الفائدة الثالثة: وهي المقصودة هنا، وهي أن الإسلام الذي اعتنى بالخلاء وآدابه، وأولاه هذه العناية، وأرسى له هذه الأحكام هل يعقل أن يغفل البيع والشراء؟ هل يعقل أن يغفل السياسة والاقتصاد والصحة والتعليم والبيئة والمرأة والطفل، والعلاقات الاجتماعية، والسلم والحرب وغيرها؟، بلا شك لا، والذي يطالع البخاري أو مسلم أو أي كتاب من كتب السنة يجد هذا الأمر واضحًا جليًا وهو أن الإسلام منهج حياة.

فجوامع السنة تبدأ بقضايا الاعتقاد ثم قضايا العبادات ثم تدخل مباشرة إلى قضايا المعاملات «البيع والربا والصرف والحوالة والوكالة والكفالة والضمان والوصايا والمواثيق والأيمان والنذور والأطعمة والأشربة والألبسة والزينة والزواج والطلاق والحضانة والإيلاء والظهار والجنائيات والحدود والقصاص والشهادات والقضاء والسلم والحرب».

وهذا يفسر سبب الهجوم الشديد على البخاري ومسلم لأنه بمجرد الاطلاع عليهما يهدم معبد العلمانية على أصوله، لأنها يثبتان أن الإسلام منهج حياة؛ لأنه يتعامل مع كل مجالات الحياة، فيظل الإنسان في بيعه وشرائه يضع له الأصول والقواعد والأحكام التي إذا التزمها بلغ أعلى درجات الرقي والتقدم والسعادة والربح، وإذا جانبها كان مخرابًا خاسرًا في الدنيا والآخرة.

منهج يُظل الإنسان في حال صحته ومرضه، في أخذه وعطائه، في ذهابه ومجيئه، في شدته ورخائه، في فرحه وحزنه.

يضع له الإطار الذي يضمن سعادته وحياته الكريمة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

إن المطالع لكتب المذاهب الأربعة يتبين له لأول وهلة أن الإسلام منهج حياة، ومن هنا نعرف سبب الهجوم على المذاهب الأربعة وأئمتها وعلى الأزهر الذي يدرسها ويحمل رايتها، والغرض من هذا الهجوم إبطال هذه القضية وزعزعتها في قلوب المسلمين، وليس الهجوم من أجل بعض الاجتهادات الضعيفة فهذا أمر لا خلاف على انكاره، وتنقية المذاهب منه، لكن هذا الهجوم الضاري لا يمكن أن يكون من أجل هذه الأقوال الضعيفة فقط، وإنما له مآرب أخرى، خاصة إذا كانت ممن ينتسب إلى العلمانية أو كان متشيعاً أو صاحب أفكار تناقض تلك القضية وهي قضية أن الإسلام منهج حياة.

أما المنهج الإصلاحي فهو المنهج الذي يؤمن حملته بهذه الكلية الكبيرة، وينطلق من خلالها إلى الإصلاح في جميع المجالات، لا يهمل مجالاً منها، ولا يتغافل عن جانب من جوانبها.

والشمولية تتضمن:

- شمولية العلم والتعلم.
- وشمولية الدعوة والتطبيق والحركة والسلوك قدر الطاقة والاستطاعة.
- وشمولية التصور الإصلاحي الذي يشمل إصلاح الفرد والأسرة وإصلاح المجتمع وإصلاح نظم الحياة.

السمة الثالثة

البصيرة

البصيرة: هي أعلى درجات العلم، وهي ملكة بها تدرك حقائق الأشياء، وهي نور يلقيه الله في قلب العبد، فبه يعرف الخير من الشر، والحق من الباطل، وبه يهdy إلى الطريق المستقيم.

وهي كشاف للقلب يبصر به في حالك الظلمات ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالبصيرة هي ذلك النور، وهي للقلوب كالضياء للأبصار ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ ءَامَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

وعكسها «العمى»، قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ [فاطر].

وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وقال الله **عَزَّجَلَّ** لنبيه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فما أحوج السائرين من أصحاب المنهج الإصلاحي إلى البصيرة والأخذ بأسبابها.

عوامل تحصيل البصيرة وأسبابها:

أولاً: «العلم النافع»:

العلم علمان: (فرض عين، وفرض كفاية).

فرض العين: «ما لا تستقيم العقيدة إلا به، ولا تستقيم العبادة إلا به، ولا تستقيم المعاملات إلا به، ولا تستقيم الأخلاق والسلوك إلا به، ولا يستقيم الفهم والفكر إلا به».

فلا بد لكل من يحمل المنهج الإصلاحي أن يكون ملماً بقضايا الاعتقاد التي لا يسعه جهلها، وشروط وأركان وصفات العبادات التي لا يجوز التقصير فيها، وأصول الأخلاق الحميدة وأحكام المعاملات التي يحتاج إليها في حياته العملية، وكذلك أن يكون ملماً بالقضايا الشائكة التي تسبب الجهل بأصولها وقواعدها في هذا الانحراف الذي أصاب كثيراً من شباب المسلمين؛ كقضايا الإيمان ونواقضه وموانع التكفير، والجهاد ومعناه وصوره وأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه وصوره وأحكامه، وفقه الخلاف والموازنات الشرعية بين المصالح والمفاسد، وقضايا السياسة الشرعية، وذلك لأن كثيراً من الشباب أخطأ الطريق لأنه أخطأ الفهم حيث دخل في دائرة التكفير - بلا دليل - التي حذر منها النبي ﷺ، واستحل الدماء والأموال، وظن أن قتل المسلمين والمعاهدين وتفجير الممتلكات وتعطيل المصالح جهاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

فأصبح من المتعين فهم هذه القضايا فهماً يعصم من الخلل والزلل والانحراف الفكري والسلوكي.

فلا بد لجميع السالكين في هذا السبيل من تحصيل القدر الذي تستقيم به عقيدتهم وعبادتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وفكرهم.

ثم إنه لا بد أيضًا أن تكون منهم طائفة تتوسع في سائر علوم الشريعة لإيجاد تلك الطائفة التي حث القرآن على وجودها في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

بل ولا بد أيضًا من وجود من يتخصص في العلوم المادية كالطب والهندسة وغيرها لأنها من فروض الكفايات، والتي أصبح التأخر فيها من أكبر أسباب ضعف الأمة وتأخرها عن ركب الرقي والتقدم.

ثانيًا: «العمل الصالح»:

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وفي الحديث: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ، حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

فمن دخل حصن الولاية والمحبوبة كان موفقًا مسددًا من الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولا طريق إلى هذا الحصن إلا بالعمل الصالح بإكمال الفرائض والمداومة على النوافل.

ثالثًا: «البعد عن المعاصي وتحري الحلال»:

في صحيح مسلم أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ذكر الرجل: «يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يده، يارب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنتى يستجاب له».

قال بعضهم: «من غَضَّ بصره عن الحرام، وكَفَّ نفسه عن الشهوات، وعَمَّرَ باطنه بالتقوى، وظاهره بالسنة وأكل الحلال لم تكد تخطئ له فراسة، وفتح الله بصيرته». وعكس ذلك أكل الحرام، والوقوع في المعاصي، يعمي البصيرة، ويوهن البدن، ويقسي القلب، ويقعد الجوارح عن الطاعة، ويوقع في حبال الدنيا.

رابعاً: «صدق المجاهدة والتضرع والإلحاح في الدعاء»:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾. [العنكبوت: ٦٩]

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في دعائه: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». وكان عمر الفاروق يقول في دعائه: «اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه».

خامساً: «اليقين بالله، وصدق التوكل عليه، وحسن الظن به»:

خاصة في حال الفتن والضعف وانتفاش الباطل، فعلى أصحاب المنهج الإصلاحي أن يؤدوا ما عليهم من الأسباب الشرعية والمادية، وتحصيل أسباب التقوى والعمل الصالح، والأخذ بالأسباب المستطاعة التي يقدرون عليها، ثم لا ينزعجوا ولا يتهوروا ولا ييأسوا بل يتحلوا بالصبر واليقين وصدق التوكل على الله، وحسن الظن به، ولهم في حملة مشعل الإصلاح من السابقين أسوة وسلوان.

سادساً: «تحقيق مبدأ الشورى، والتفكير الجماعي، وسؤال أهل الذكر»:

فمن الواجب المتحتم تطبيق مبدأ الشورى خاصة في الملمات والأمور العامة، وذلك لأنَّ اتخاذ قرار لتبني موقف يتعلق بأمر العامة لا يمكن أن يعامل معاملة فتوى تتعلق بمسألة جزئية تتعلق بفرد أو أفراد، بل إن الفتوى نفسها المتعلقة بفرد أو أفراد لا غنى لصاحبها عن الشورى خاصة إذا تشعبت الأمور الواقعية المتعلقة بها، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَنبَغُ لَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال البخاري رحمه الله: (وكان الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمراء من أهل العلم في الأمور المباحة؛ ليأخذوا بأسهلها).

قال الإمام القرطبي رحمه الله:... قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام؛ من لا يستشير أهل العلم والدين؛ فعزله واجب... وروي عن الحسن والضحاك قالا: (ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده).

قال بعض العلماء: (وصفة المستشار - إن كان في الأحكام - أن يكون عالماً ديناً، وقلماً يكون ذلك إلا في عاقل...).

وقال بعضهم: (شاوِر من جرَّب الأمور، فإنه يعطيك من رأيه ما وقع غالباً، وأنت تأخذه مجاناً).

ويجب في حق الفرد سؤال أهل الذكر عما لا يعلمه من أمور قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] فكم من شباب ضلوا الطريق وحادوا عن الجادة حين وثقوا في عقولهم وحدها وانفردوا بقراراتهم التي غالباً ما كانت انسياقاً خلف عواطفهم ومجاراة لانفعالاتهم فأفسدوا فساداً عريضاً وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا.

منهج قائم على العلم والعمل والدعوة والتربية والتزكية

قال **عَزَّجَلَّ** لنبیه: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، وقال: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، فأعلى مرتبة عند الله مرتبة العلم، وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، فالعلم من الفضل العظيم.

ويقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سلك طريقاً يلتمس به علماً؛ سهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلى الجنة»، ويقول أيضاً **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» فقسَّم الناس ثلاثة أقسام:

قسم: تفقَّهوا في الدين وعلموا وعملوا، فهم مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، تعلموا وتفقهوا في الدين وعلموا الناس.

وقسم: تعلَّموا وتفقهَّوا ونقلوا العلم إلى الناس، وليس عندهم من التوسع ما عند الأولين في التعليم والتفقيه في الدين، بل يغلب عليهم الحفظ ونقل الأخبار والروايات.

وقسم ثالث: أعرضوا، فلم يتفقوهوا في الدين ولم يحملوه، فمثلهم كمثل القيعان التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً.

فإذا كانت الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله ولا سبيل لمعرفة الله حق المعرفة ولا معرفة العبادة وما أوجب الله فيها إلا بالعلم كان لزماً على كل مكلف أن يتعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأنت مأمور بها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، والرسل بعثوا بها والدعوة إليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ولا سبيل إلى هذه العبادة وأدائها على الوجه المطلوب بالعلم والتفقه في الدين، يقول النبي الكريم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، ويقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً؛ سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»، ويقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يوماً لأصحابه: «أوجب أحدكم أن يذهب إلى بطحان» - وادٍ في المدينة - «فيرجع بناقتين عظيبتين سمينتين، بغير إثم ولا قطع رحم؟» قالوا: نحب ذلك يا رسول الله، قال: «لأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين عظيمتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»، والعلم علماً: فرض عين وفرض كفاية:

فرض العين: ما لا تستقيم العقيدة إلا به ولا تستقيم العبادة إلا به ولا تستقيم المعاملات والأخلاق والسلوك إلا به ولا يستقيم الفكر إلا به.

وفرض الكفاية: وهو ما لا يجب على كل واحد بعينه فإذا قام به البعض وتحققت بهم الكفاية سقط عن الباقيين وإلا أثم الجميع كل بحسب قدرته وهو فروع العلوم الشرعية

الزائدة على فرض العين وكذلك علوم المادة التي تقوم عليها حياة الناس وتستقيم بها دنياهم ويحققون بها القدرة على التقدم والرقي كعلوم الطب والكيمياء والرياضيات والعلوم التكنولوجية، فكلها ضرورية في التعامل مع الحياة وأسرارها، وهي التي تقود إلى تقدم الطب، والهندسة، والصحافة، والمواصلات. فقد أوجب الإسلام تعلم العلم بكل فروعه وأصنافه، ثم يتخصص كل فرد بما يناسبه ويحبه، حتى يكون الجميع مجتمعاً متعلماً ناهضاً، فمن خلال العلم تتقدم الأمم وتتحضر وتكتشف كل ما يزيد منعتها وقوتها، أما العمل فهو من الإيثار، فالإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر]، الناس في خسران إلا هؤلاء: الَّذِينَ آمَنُوا، يعني: علموا الحق وآمنوا به وصدقوا به، وآمنوا بأن الله معبودهم الحق وإلههم، وآمنوا بالرسول وباليوم الآخر، والجنة والنار، والحساب والجزاء، وآمنوا بكل ما أخبر الله به ورسوله.

ثم مع هذا الإيمان حققوا ذلك بالعمل وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، آمَنُوا وَعَمِلُوا فَأَدُوا ما أوجب الله، واجتنبوا ما حرم الله، هكذا المؤمن.

وتواصوا بالحق: بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتواصوا بالصبر: لأن الإنسان لا يمكن أن يعمل ويتعلم ويتفقه، ويعلم غيره، ويأمر غيره، إلا بالله ثم بالصبر، فمن لم يصبر لم يفعل شيئاً، مثل ما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا:** ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ويقول لنبيه: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

فلا بد من العمل بالعلم، وتحويله من النظرية إلى التطبيق في الواقع، فالعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل ويراعى في العمل الآتي:

- ١- إتمام الفرائض بفعل الواجبات وترك المحرمات.
- ٢- المداومة على قدر من النوافل لا يتركها بحال، وأن يكون له نصيب من كل نوع من أنواع النوافل، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه...».

- ٣- تخليص النية في جميع الأعمال والأحوال ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة سواء كان عملاً دعوياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو كان طبيباً أو مهندساً أو تاجراً أو مزارعاً.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

- ٤- الحرص على محاسن الأخلاق، وتجنب المساوئ والتأسي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أخلاقه وسلوكه، وهذا من أجل الأعمال وأنفعها.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ المؤمنَ ليدركُ بخلقه درجةَ الصائمِ القائمِ».

٥- الحرص على الأعمال ذات النفع المتعدي فأجرها عظيم، قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

٦- أن يسخر ما من الله به عليه من مهارة أو وظيفة لخدمة منهجه الإصلاحي.

أما الدعوة إلى العلم وبيانه فقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، ويقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

فعلى أهل المنهج الإصلاحي أن يدعوا الناس إلى الخير، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وأن يصبروا عليهم، وأن يبينوا ما عندهم من العلم، يقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَنُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة]، ويقول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، والواجب على الجميع التواصي بهذا الأمر والتناصح فيه، قال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، ويقول

جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿[العصر].

هذه أخلاق المؤمنين المصلحين... أولياء متعاونون على البر والتقوى، متواصون بالحق والصبر عليه، ويقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»، ويقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام**: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، ويقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الحديث الصحيح: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» ويقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

[أخرجه مسلم في الصحيح من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**]

هكذا المؤمن المصلح ناصح لإخوانه، وأخواته في الله، والمؤمنة كذلك، يقول سبحانه في سورة التوبة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]، وعدهم الله الرحمة بهذا العمل بالإيمان وسلامة القلوب والولاية بينهم، ومع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرحمة تحصل للمؤمن بأعماله الصالحة، وتقواه لله في الدنيا والآخرة، يرحم في الدنيا بالتوفيق والإعانة والتسديد، ويرحم في الآخرة بدخول الجنة والنجاة من النار، بسبب إيمانه وتقواه، وقد جمع الله هذا النصح وهذه الولاية في أربع خصال في الإيمان والعمل، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهذه جماع الدين كله، فالدين كله ينحصر في هذه الأربعة؛ من جمعها أفلح، وتم ربحه، ومن ضيعها تمت خسارته، ومن ضيع شيئاً منها ناله من الخسران بقدر ذلك.

أما التزكية فالمراد بها في مدلولها اللغوي: (النَّاء، والزيادة، والإصلاح، والتطهير)، وفي المدلول الاصطلاحي يراد بها: (تطهير النفس من مساوئ الأقوال والأفعال والأعمال والأوصاف، وترقيتها وتنميتها بالأعمال الصالحة والخصال الفاضلة، والخلال الحيرة). فهي تزكية النفوس، وتهذيب الجوارح، وتربية الأفراد، وتنمية المجتمعات؛ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وبالتزكية تحصل الراحة والطمأنينة والسعادة للفرد والسكينة للمجتمع، وبدونها تنهأوى النفوس في متاهات القلق والاكتئاب والشقاوة والتعاسة.

ومنهج التربية والتزكية عند أهل السنة والجماعة قائم على العلم والعمل قائم على تحقيق التوحيد والاتباع والتطبيق العملي للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة لا يقوم على البدع ولا على الغلو والتطرف، غاية التزكية عند أهل السنة تحقيق كمال العبودية لله **عَزَّوَجَلَّ**، واستكمال مراتب الحب والذل لله **عَزَّوَجَلَّ**، واستسلام ظاهر العبد وباطنه لله **عَزَّوَجَلَّ**، قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل الأوجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه، وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا، وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك، أو كلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك، وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة، وكل عمل لا يراذ به وجه الله فهو باطل.

إلى أن قال: فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه من محبة غيره، إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألد ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له، وإخلاصه

الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً كما قال تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]، إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه، فلا يكون عبد الله ومحبه إلا بين خوف ورجاء قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. اهـ.

والتزكية عند أهل السنة لا تكون بالأموال المبتدعة، أو الأساليب المخترعة، بل تكون بما دل عليه الوحي، ويَبَيِّنُ أن تزكية النفوس تكون به.

قال النبي ﷺ: «قال الله عز وجل: من عادى لي ولياً فقد آذنته في الحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

دل الحديث على أن بالفرائض والنوافل والاجتهاد فيهما يصل العبد إلى أعلى درجات الولاية والمحبة وتزكية النفس وتزيينها، بخلاف البدع فإنها تقطع الطريق إلى ذلك ولا تصل بصاحبها إلا إلى الخسارة والبوار.



وضوح المفاهيم

أولاً: لابد من وضوح معيار تلك المفاهيم، وهو معيار لا يختلف عليه أحد، وهو العمل بالكتاب والسنة بفهم أعلم الناس بالكتاب والسنة؛ وهم أعلام القرون الخيرية الأولى.

يقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبَعُواهُم بِحَسَنِ رِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ فَهُمْ فِي سَلْبٍ مُّجْتَمِعٍ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ويقول **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَإِنِ عَصَىٰ عَبْدُ اللَّهِ فَإِنِ يُفِضْ إِلَيْهِ مِمَّا رَزَقْنَاهُ يُعْطِهَا لَهُ فَنُصِصْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧].

عن العرياض بن سارية قال: وعظنا رسول الله موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله **عَزَّجَلَّ**، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيروا، واختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

[رواه أبو داود، والترمذي وقال: «حديث حسن صحيح»]

وعن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «وَكَاْنُوا يَضْرِبُونَآ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَالْعَهْدِ».
قال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: «الصَّحِيْحُ أَنَّ قَرْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّحَابَةُ، وَالثَّانِي: التَّابِعُونَ، وَالثَّلَاثُ: تَابِعُوهُمْ» انتهى من «شرح النووي على مسلم» (١٦ / ٨٥).

لقد نزل الوحي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابه معه يتعلمون ويمثلون ويسألون عما خفي عليهم، وهم الذين أثنى الله عَزَّوَجَلَّ على عقولهم وأفهامهم وأعمالهم، واصطفاهم أصحاباً لنبيه، وحمله لدينه، مبلِّغين عن نبيه، فعلموا التابعين الذين ضربوا أروع المثل في العلم والعمل والدعوة، وانتشروا في البلاد التي اتسعت رقعتها، ودخلت الأمم في دين الله أفواجاً، وعلى أيدي هؤلاء الأعلام من التابعين وتابعيهم، وبتوفيق الله لهم في فهم هذا الدين بأحكامه التفصيلية وقواعده الإجمالية التي استنبطها هؤلاء الأعلام، استطاع المسلمون أن يبنوا دولة حضارية مترامية الأرجاء أنارت الدنيا يوم كانت أوربا في عصورها المظلمة.

دولة يعيش في ظلها العربي والأعجمي، والأبيض والأسود، والأمم المختلفة الأعراق والعادات، بل والديانات، ولم يشعر أحد بظلم ولا باضطهاد.
دولة صار فيها المنهج الإصلاحي على أيدي هؤلاء واقعاً حياً متحرّكاً، وليس نظريات مجردة لم تختبر في الواقع.

فكانت هذه القرون الثلاثة بمثابة التطبيق العملي للأحكام التفصيلية والقواعد الكلية لهذا المنهج الرباني العظيم.

ولذلك كان المعيار الذي يعصم من الخلل والزلل، والذي لا يختلف عليه أحد هو العمل بالكتاب والسنة، بفهم أعلم الناس بالكتاب والسنة، وهم أعلام هذه القرون الخيرية الثلاثة، ومن سار على نهجهم وطريقتهم.

ولا يدعوا هذا إلى الجمود، وإنما هو ضبط لقواعد الاجتهاد، فهذا المنهج يقوم على أمور تفصيلية لا خلاف عليها، وقواعد إجمالية يمكن تطبيقها على كل جديد فيعرف من خلالها حكمه.

وبهذا المعيار يمكن ضبط وإيضاح المفاهيم الهامة التي يؤدي الخلل في فهمها

إلى كوارث مدمرة:

المفهوم الأول: مفهوم الإصلاح نفسه:

- ☆ هل تكفي فقط نية الإصلاح ليكون مصلحاً؟
- ☆ وهل يُعدُّ أي عمل بنية الإصلاح إصلاحاً، حتى لو كان غير مشروع، أو كان يؤدي إلى تعظيم الشر والفساد؟
- ☆ أم أن الإصلاح كل عمل مشروع من شأنه تكثير الخير والصالح وتعظيمه، ودرأ الشر والفساد أو تقليله؟
- ☆ ما هي سمات المنهج الإصلاحية؟
- ☆ ما الأمور التي ينبغي أن يتحلَّى بها حملة المنهج الإصلاحية؟
- ☆ ما أهم وأخطر الشبهات حول المنهج الإصلاحية وكيفية الإجابة عليها؟
- ☆ ما العوامل التي تدفع الشباب للانخراط في المناهج العاطفية والصدامية، أو النظرة اليائسة المحبطة، وكيف يمكن استنقاذ الشباب من الوقوع فيها؟

المفهوم الثاني: مفهوم التصفية والتربية:

- ☆ وشمول التصفية لتصفية العقائد مما يخالف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والقرون الخيرية.
- ☆ وتصفية العبادات من البدع والمخالفات.

- ☆ وتصفية علوم المعاملات والأخلاق مما يخالف الشرع.
- ☆ وتصفية التفسير وعلوم القرآن والسنة من الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة والموضوعة.
- ☆ وتصفية الفقه من الأقوال الشاذة.

كما يشمل مفهوم التربية:

- ☆ التربية على العقيدة الصحيحة الخالية من البدع والخرافات.
- ☆ والتربية على العبادات والأخلاق النبوية والسلوك القويم.
- ☆ والتربية وتزكية النفوس بتحقيق التوحيد واتباع النبي ﷺ في العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق والسلوك.

المفهوم الثالث: ما المقصود بكون الدعوة الربانية هي التوحيد والاتباع والتزكية؟

- ☆ ما المقصود بالتوحيد، وهل هو قاصر على مجرد إثبات وجود الرب بالبراهين العقلية أم أنه يشمل توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وما هي الشبهات والأخطاء المتعلقة بهذه الأقسام الثلاثة وكيفية الرد عليها؟
- ☆ ما المقصود بالاتباع، وكيف يتحقق، وهل يعد المتعصب لمذهب أو جماعة في مقابلة الدليل متبعاً؟
- ☆ ما المقصود بالتزكية، وما أصولها عند أهل السنة، وهل يمكن أن تحصل التزكية بالأوراد المبتدعة؟

المفهوم الرابع: مفهوم الإيمان وثبوت عقد الإسلام:

- ☆ وهل تشترط شروط أخرى لإثبات حكم الإسلام غير الشهادتين؟

☆ وهل يتوقف في إثبات إسلام الناس في المجتمعات الإسلامية حتى يمتحنوا كما يعتقد بعض أصحاب المناهج المنحرفة؟

المفهوم الخامس: مفهوم نواقض الإيمان، وموانع تكفير من وقع في ناقض من تلك النواقض جاهلاً أو متأولاً أو مكرهاً.

☆ ما هي نواقض الإيمان، وهل هي بالتشهي أو لمجرد المخالفة في الموقف السياسي، وما هي الردود الشرعية على هذا الغلو في التكفير الذي وصل به الأمر إلى تكفير عامة الناس بصورة تعدت طريقة الخوارج أنفسهم؟

المفهوم السادس: مفهوم تحكيم الشريعة، والولاء والبراء؛

☆ ما المقصود بتحكيم الشريعة، وما الواجب على المسلم تجاهها؟
☆ ومتى تكون مخالفتها من النواقض، ومتى لا تكون كذلك؟
☆ ما حكم من التزم تحكيم الشريعة دستورياً، ثم خالف ذلك قانونياً متأولاً أو مكرهاً أو جاهلاً أو مضطراً؟

☆ ما حكم التدرج في تطبيق الشريعة؟
☆ ما الشبهات التي تثار حول تحكيم الشريعة، وكيفية الإجابة عليها؟
☆ ما المقصود بالولاء والبراء؟

☆ متى يكون الولاء ناقضاً، ومتى يكون غير ناقض؟
☆ ما شبهات من يكفرون بصور الولاء المحرمة غير المكفرة، ومن يكفرون بصور من المعاملات المباحة، التي لا تعد ولاءً أصلاً، وكيف نرد على تلك الشبهات؟

المفهوم السابع: مفهوم الجهاد وصورة:

- ☆ وهل يعد من الجهاد قتل المسلمين والمعاهدين، ومن دخل بلاد المسلمين بأمان؟
- ☆ هل يعد من الجهاد التفجير والتدمير، وإراقة الدماء، وتكفير الناس لأدنى شبهة، وقتلهم بهذه الصور البشعة؟
- ☆ هل يعد من الجهاد حمل السلاح في بلاد المسلمين، واستهدافهم به، وإحداث الفوضى والصراعات الأهلية؟
- ☆ أين موضع الجهاد بالقرآن والسنة والعلم والدعوة من مفهوم هؤلاء للجهاد؟
- ☆ وما هي الردود على شبهات هذه الطوائف المنحرفة التي تخدع الشباب يوماً بعد يوم، لتجعل منهم قتابل موقوتة، ليصبحوا معاول هدم وتخريب لبلادهم وأمتهم، وهم يظنون أنهم على هدى وصالح؟

المفهوم الثامن: مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

- ☆ وهل يعد إزالة منكر بإحداث فتنة إصلاحاً أم إفساداً؟
- ☆ وهل يعد إزالة المنكر بما يتسبب في منكر أشد منه عشرات المرات إصلاحاً أم إفساداً؟
- ☆ وما هي شبهات الفرق والطوائف المنحرفة، وكيفية الرد عليها لحماية الشباب منها؟

المفهوم التاسع: مفهوم فقه الخلاف:

- ☆ متى يكون الخلاف خلاف تنوع، ومتى يكون خلاف تضاد؟
- ☆ متى يكون الخلاف معتبراً ومتى يكون غير معتبر؟
- ☆ ما الواجب تجاه خلاف التنوع، وما الواجب تجاه الخلاف المعتبر، وما الواجب تجاه الخلاف غير المعتبر؟

المفهوم العاشر: مفهوم الموازنات بين المصالح والمفاسد في السياسة الشرعية:

- ☆ ما المقصود بالموازنات في السياسة الشرعية؟
 - ☆ ما القواعد الضابطة للموازنات، وما تطبيقاتها الواقعية؟
 - ☆ ما شبهات العاطفيين والصداميين حول الموازنات الشرعية، وكيفية الإجابة عليها؟
- ينبغي أن تكون هذه المفاهيم واضحة جلية لحملة المنهج الإصلاحي، لا لبس فيها، يفهمها الأفراد فهمًا جيدًا يستطيعون الدفاع عنها والإقناع بها وإثبات فاعليتها.



تعظيم أمر الدماء والاعتدال في النظر إلى المجتمعات ومؤسسات الدول الإسلامية

أولاً: تعظيم أمر الدماء وعصمة النفوس:

إن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق؛ كبيرة من أكبر الكبائر، وأعظم الجرائم، وحرمة دم المسلم أعظم عند الله تعالى من حرمة الكعبة، بل زوال الدنيا أهون عند الله من قتل المسلم، وقد وردت النصوص الكثيرة من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم التي تدل على أن قتل النفس المعصومة من أكبر الكبائر فمنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان].

وثبت في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله الكبائر، أو سئل عن الكبائر، فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين»، فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قال: «قول الزور - أو قال: شهادة الزور -» قال شعبة: وأكثر ظني أنه قال شهادة الزور [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربوا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» [رواه البخاري ومسلم].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً» [رواه البخاري]، ونقل الحافظ ابن حجر العسقلاني عن ابن العربي قوله: الفسحة في الدين؛ سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب؛ قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول. [فتح الباري (١٢/٢٣٣)]

وروى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني مبيناً معنى ورطات الأمور: هي الهلاك يقال: وقع فلان في ورطة أي في شيء لا ينجو منه، وقد فسرهما في الخبر بقوله: التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها. قوله: «سفك الدم» أي إراقته، والمراد به القتل بأي صفة كان، لكن لما كان الأصل إراقة الدم عبر به. [فتح الباري (١٢/٢٣٣-٢٣٤)]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره... كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وعرضه، وماله». [رواه البخاري ومسلم]

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماً، فيقول: يا رب هذا قتلني، حتى يدينه من العرش» [رواه الترمذي].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» [صحيح سنن الترمذي (٥٦/٢)].

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق، ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار» [صحيح الترغيب (٦٢٩/٢)].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله، ودمه، وأن نظن به إلا خيراً». [صحيح الترغيب (٦٣٠/٢)]

ونظر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة فقال: «ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك» [رواه الترمذي].

فيا ليت شعري ما الذي جرأ هذه الجماعات المنحرفة على سفك الدماء بهذه الصورة البشعة، وما الذي جعل الشباب يتشربون مثل هذه الأفكار الخربة؟!

ثانياً: الاعتدال في النظر إلى المجتمعات الإسلامية:

- (أ) فلا يستعلى عليها بما عنده.
- (ب) ولا يصفها بالجاهلية.
- (ج) ولا يصفها بأنها طبقة متميزة لا نشغل أنفسنا بالحكم عليها.
- (د) ولا يتوقف في الحكم بإسلام أفرادها حتى يمتحنوا.
- (هـ) ولا يحكم عليها بالتكفير.

لا ينبغي أبداً أن يعتقد إنسان أن إيمانه أو إيمان جماعته يختلف عن إيمان غيرهم، مستعليًا بإيمانه أو إيمان جماعته على المجتمع، فالتقوى ليست حكراً على أحد، وقد يكون في هذا المجتمع من هو أفضل ممن يستعلي عليهم ومن عشرات من أمثاله، وكذلك فإن الاستعلاء بالإيمان بهذه الصورة هو بداية الانحراف في مسائل الإيمان؛ بتجهيل المجتمع ثم التوقف في حكم الإسلام له، ثم في النهاية تكفيره واستحلال الدماء والممتلكات.

وقد كان لنظرية الشيخ حسن البنا في الاستعلاء بإيمان الإخوان عن إيمان غيرهم هذا الأثر الخطير فيما بعد، حيث تطورت عند الشيخ سيد قطب إلى وصف المجتمع بالمجتمع الجاهلي، وتطور هذا الوصف عندما قرر محمد قطب أن عامة المجتمع طبقة متميعة لا نشغل أنفسنا بالحكم عليها بإسلام أو بكفر، ثم تلاه عبد المجيد الشاذلي في كتابه الخطير «حد الإسلام» فذهب إلى التوقف في حكم الإسلام لأفراد هذا المجتمع حتى يمتحنوا فرداً فرداً، هل هم متحققون علماً وعملاً من الحد الثلاثي للإسلام الذي وضعه الشاذلي في كتابه أم لا؟ وتبنى القطبيون هذه الأفكار، ثم تطورت إلى تكفير المجتمع دون توقف، ثم تطور الأمر وازداد خطورة باستحلال الدماء والممتلكات.

وما داعش ولا القاعدة ولا الجماعات الكثيرة المنحرفة إلا ثمرة من ثمرات هذا الانحراف في هذه القضايا الخطيرة.

ثالثاً: اعتدال في النظر والتصور بالنسبة لمؤسسات الدول الإسلامية:

بعض الحركات الإسلامية كانت نشأتها بعد إلغاء الخلافة العثمانية إبان الاحتلال الإنجليزي، فلعل هذا من أسباب الشعور بالعداء، والمفاصلة التامة مع مؤسسات الدول الإسلامية المحتلة، واستمر هذا حتى بعد زوال الاحتلال خاصة مع وجود أنواع من المخالفات والفساد في تلك المؤسسات.

لكن الواقع أن هذه المؤسسات ليست إلا جزءاً من المجتمع، فيها الصالح والطالح في الخير، وضده فيها المتدين والمناوئ للدين أو لصور معينة من صور الدين بعلم أو بجهل، فالاعتدال في النظر إلى تلك المؤسسات أن تعامل كما يعامل المجتمع، بل العائلة التي ينتمي إليها الإنسان، ففيها وفيها، فيعمل على الإصلاح قدر الطاقة، ولا يبطن معاداتها، ولا يعتقد كفرها هكذا جزافاً ليبرر قتلها.

ومن الاعتدال هنا أيضاً أن لا يعمل على هدم تلك المؤسسات، ظناً منه أن إصلاحها لا بد أن يمر أولاً بهدمها ثم البناء مكانها، تلك النظرية الهدامة التي أدت إلى انحراف كثير من الشباب، وأدت إلى فتن ومحن، وإلى إراقة للدماء، وصراعات لا حصر لها.

إن المظالم والدماء والمفاسد والفوضى التي تحدث في ظل غياب المؤسسات؛ تفوق آلاف المرات تلك التي تحدث في ظل مؤسسات حتى لو فيها ظلم أو خلل، فبدلاً من العمل على هدم تلك المؤسسات يعمل على إصلاحها قدر الطاقة، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

فالاعتدال هنا أن تعامل تلك المؤسسات على أنها صورة للمجتمع فيها المحسن والمسيء، فيها الخير والشر، فيها من يريد الفساد أو يعمل به ومن يريد الإصلاح ويعمل به، ولذلك فإن الواجب العمل على إصلاحها لا هدمها أو الصراع الدامي معها، والإنسان لا يكلف إلا بما يستطيع، ولا يجوز له أن ييأس أو يحبط، بل يوقن أنه سيحدث الإصلاح الذي وعد الله ﷺ به وأخبر به رسول الله ﷺ، لكن حين تتحقق أسبابه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].



مراعاة السنن الشرعية والكونية

في الإصلاح والتغيير

السنة هي العادة في الأشياء المتماثلة، ومنه أسنان المشط فهي تسير على منوال واحد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَحْدِلَ سُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

والإصلاح مراد شرعي لله **عَزَّوَجَلَّ**، وهو قادر على أن يقول: كن، فيكون، لكنه جعل له سنناً لا بد أن تراعى، فمن عرف تلك السنن وعمل بمقتضى معرفته استبانته له معالم طريق الإصلاح، وصبر على صعابه، وتجاوز بنجاح ما يعترضه من عقبات هي في الحقيقة من سمات هذا الطريق بل هي بعض سننه، والإشكالية الكبرى عند كثير من الشباب، وكأنه لا يرى ولا يعلم أو لا يجب أن يعلم إلا سنة واحدة، وهي -خاتمة السنن وليست أولها- «سنة العاقبة» فبمجرد أن يرى من نفسه بعض الانتظام في طريق الإصلاح والإصلاح حتى يقول: أين العاقبة، أين ما وعد الله به، ألم يقل الله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾؟ [الأعراف: ١٢٨].

فإذا لم يجد تحقق ما أراد؛ فما أن ييأس ويحبط، وإما أن يتهور ناسياً أو متجاهلاً أنه لكي يصل إلى هذه السنة «سنة العاقبة» لا بد من المرور بسنن أخرى.

ومن هذه السنن: سنة الابتلاء والاختبار، فإن الإنسان من حيث هو إنسان مبتلى ومختبر، مطيعاً كان أو عاصياً، يقول الله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[الملك: ٢].



فعلى الإنسان العاقل أن يصبر على الابتلاء في طريق الإصلاح والصلاح؛ ليكون أمره كله له خير «عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له».

ومن سنة الله تعالى أن أهل الإصلاح والصلاح يبتلون:

قال الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت].

ومن رحمة الله تعالى أن البلاء يكون على قدر طاقة الإنسان وتحمله، فعلى الإنسان أن يصبر ويدفع البلاء بالطاعة والصبر، والأخذ بالأسباب المستطاعة ليتجاوز ذلك الاختبار، فإذا تجاوزه الإنسان ارتقى درجة من درجات العبودية، وهكذا يرتفع درجة درجة؛ لكن لا يجوز للإنسان ولا يحق له أن يجلب البلاء على نفسه، ويقول: أن المؤمن مبتلى، فالأصل دفع البلاء، فإن جاء فالصبر عليه حتى يندفع.

فمن استحضر هذه الأمور الثلاث المتعلقة بسنة الابتلاء اطمئنت نفسه

وواصل طريقه، ألا وهي:

- (أ) أن الكل مبتلى، فاجعل ابتلاءك في خندق الطائعين لا في خندق العاصين.
- (ب) ألا تجلب على نفسك البلاء بيدك، بل خذ بالأسباب المشروعة لدفع البلاء، فإذا قدر البلاء فاصبر عليه.
- (ج) أن البلاء إذا وقع بالأولياء كان على قدر طاقتهم، وبقدر ما يرفعهم الله به، فليحسنوا الظن بالله، فهو يبتليهم ليصبرهم على البلاء، ويرفعهم، ويكفر به خطاياهم، فليفتشوا في أنفسهم ويتوبوا من الخلل والتقصير، ويحسنوا الظن برهم.

سنة التدافع:

ومن السنن أيضًا «سنة التدافع» بين الخير والشر، وبين الصلاح والفساد، وبين المصلحين والمفسدين، يقول الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وسنة التدافع على ثلاث مراتب وهي مراتب الإصلاح:

* مرتبة الإعذار.

* ومرتبة التأثير.

* ومرتبة التغيير.

فمرتبة الإعذار: أن تتكلم بالصلاح والإصلاح، ولا تجد من يمثل **﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾** [الأعراف: ١٦٤]، فمع أنهم يعلمون أنهم لم يستجيبوا مع ذلك تكلموا بالإصلاح معذرة إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولعلهم يجدون يومًا من يسمع.

المرتبة الثانية: وهي مرتبة التأثير: بأن يجد أهل الإصلاح من يتأثر ويقتنع

بالفكرة، وشيئًا فشيئًا يتبناها، ويزداد من يتبنونها شيئًا فشيئًا حتى تصل إلى **المرتبة الثالثة:**

مرتبة التغيير: فتصبح الفكرة الإصلاحية هي الظاهرة، والتي يتبناها أكثر الناس بعد

أن لم يكن أحد يستمع أو يستجيب لأهلها في مرتبة الإعذار، لكن التغيير وإن كان من

أسبابه اجتهاد المصلحين في مرتبتي الإعذار والتأثير إلا أنه مرتبط بسنن أخرى كما ذكرنا

في السمة السابقة قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

سنة التداول:

قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].
فأحياناً تكون للمفسدين، وأحياناً تكون للمصلحين لكن بأسبابها.

وأخيراً هناك علاقة طردية بين المعاصي والمصائب:

فما نزل بلاء إلا بذنب قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبَكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم».

فعلى المصلحين أن يعملوا على تقليل المعاصي والفساد قدر طاقتهم ليكثر الخير والصلاح، ويقل الشر والفساد، ليصلوا إلى السنة التي تلي ذلك، وهي سنة التغيير، قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] فعلى أصحاب المنهج الإصلاحي أن يعملوا على تعظيم الخير والصلاح، وتقليل الشر والفساد، وبذل الوسع، وعدم التعجل بالنتائج، إنما تعبدهم الله **عَزَّجَلَّ** بالعمل، والأخذ بالأسباب، ولم يتعبدتهم بالنتائج.

منهج لا يأس معه ولا إحباط

المنهج الإصلاحي لا يأس فيه ولا إحباط لأنه لا يقيم الأعمال بتأثيرها وإنما بالعبوديات المبذولة فيها.

وذلك لأن مراتب الإصلاح ثلاثة: الإعذار والتأثير والتغيير.

التغيير نتيجة ملموسة وهي تحقق المقصود مباشرة. لكن كان قبل حدوث التغيير مرتبة التأثير التي قد لا يلاحظها كثير من الناس، وقبل التأثير مرتبة الإعذار التي ليس لها نتائج ملموسة يلاحظها عوام الناس أو خواصهم.

قال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ﴿٧﴾ فِيءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٨﴾ اسْتَكْبَارًا ﴿٩﴾﴾ [نوح].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَىٰ رَبِّكُمُ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

بلا شك ما من عمل يبذله أهل الإصلاح إلا وله فوائد لكن لا يلزم أن تكون ملموسة، وفوائد الإعذار كثيرة منها أنه عبودية من أعظم العبوديات، وأن يكون الإنسان أول من يدعوا إلى ذلك الخير أو ينهي عن ذلك الشر والفساد وأجور الأوائل في كل شيء لا يعلم قدرها إلا الله «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه إلى يوم القيامة».

ومن فوائد الإعذار أيضًا أنه البوابة إلى التأثير والتغيير وبدونه لن يكون تأثير ولا تغيير، ومنها أنه سبيل النجاة لأهل الإصلاح ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

أهل الإصلاح لا يقيمون الأعمال بنتائجها الملموسة وإنما بالعبوديات المبذولة فيها، فهم على كل الأحوال في تعبد بالمستطاع من الأسباب مع الثقة بالله والتوكل عليه والاستبشار الدائم الناتج عن حسن الظن والثقة بالله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وكان هذا في ظل الأذى والبطش من فرعون وملئه فطالما أن أهل الإصلاح يبذلون جهدهم في أسباب الصلاح والإصلاح فليستبشروا بفضل الله ورحمته.



التدرج والعمل على جلب المصالح وتعظيمها،

ودفع المفساد وتقليلها

هذه من أهم سمات أصحاب المنهج الإصلاحي؛ لأن الإصلاحي في الغالب لا يأتي جملة واحدة، وإنما يأتي متدرجاً، ودفع الفساد في الغالب لا يكون إلا متدرجاً شيئاً فشيئاً، فأصحاب المنهج الإصلاحي يعملون جاهدين على تعظيم المصالح قدر الطاقة وتقليل المفساد قدر الطاقة.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بال أعرابي في المسجد فزجره الناس فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تزرموه»... فلما قضى بوله دعا بذنوب من ماء، فأهريق عليه.

إن بول الأعرابي حين بال في المسجد بلا شك مفسدة وضرر ومنكر، ولذلك هم الصحابة أن يمنعوه، لكن المقارنة الآن بين ضرر في مساحة محددة إذا أكمل بوله فيها، وبين حدوث اتساع في تلك المساحة إذا أرادوا أن يقطعوا عليه بوله بأن يترشش البول في مساحة أكبر، أو يصيب ملابسه أو جسده، وفوق كل ذلك سيتأذى الرجل في نفسه وينفر من صنيعهم معه، فكان اختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحمل الضرر الأدنى دفعا للضرر الأعلى، ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تزرموه» أي: لا تقطعوا عليه بولته.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يا عائشة! لولا أن قومك حديثو

عهد بجاهلية؛ لأمرت بالبيت فهدم، وبنيته على قواعد إبراهيم».

فهذا النبي ﷺ يراعي حال القوم، وقرب عهدهم من الجاهلية، فخشى أن يلقي الشيطان في قلوبهم شيئاً إذا هدم النبي ﷺ الكعبة، وأراد بنائها على غير الهيئة التي بنوها عليها، فيؤدي ذلك إلى فتنهم، فامتنع النبي ﷺ.

وفي الحديبية حيث أتى النبي ﷺ ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه، يريدون العمرة لا يريدون قتالاً، فاعترضتهم قريش، وظلت المراسلات حتى تم عقد صلح الحديبية، والذي احتمل المسلمون فيه الضيم، الذي كان منه رجوعهم عن العمرة هذا العام، وأن أتى من المشركين إلى المسلمين مسلماً رده المسلمون إلى المشركين، ومن أتى من المسلمين إلى المشركين لم يردوه؛ وبينما رسول الله ﷺ إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فقال سهيل: هذا أول ما أقاضيك عليه يا محمد، فقال النبي ﷺ: «دعه لي، فإننا لم نقم من مجلسنا» فقال سهيل: إذا لا عقد بيننا.

فردّ النبي ﷺ أبا جندل إلى سهيل بن عمرو، وكان لهذا أثره الهائل على المسلمين، حتى قال عمر: يا رسول الله! ألسنا على الحق؟! لم نعط الدنية في ديننا؟! لكن النبي ﷺ احتمل هذه المفاصد من أجل اعتبارات عظيمة ومصالح جليلة.

فمن هذه الاعتبارات التي راعاها النبي ﷺ:

الاعتبار الأول: تعظيم حرمان الله، ولذلك قال حين بركت الناقة في الحديبية، قال:

«والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أجبتهم إليها».

الاعتبار الثاني: حقن الدم المعصوم، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ. وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَو تَزَلَّيْلُوا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

فكان الحفاظ على دماء المستضعفين في مكة -الذين أسلموا وتخفوا بإسلامهم- من الأسباب التي منعت من قتال المشركين مع أنهم كفروا وصدوا عن المسجد الحرام، ومنعوا وصول الهدى إليه.

الاعتبار الثالث: مراعاة أمر تعظمه العرب، وهو استهجانهم أن يجتاح رجل قومه، فقد قال أحد من أرسلوا من قريش: لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت قومه قبلك.

الاعتبار الرابع: اعتبار إقرار زعماء قريش -وهم زعماء العرب- بالدولة الجديدة، وهذا الإقرار من قريش التي تنزع قتال النبي ﷺ يعطي بعداً سياسياً هاماً لتلك الدولة الوليدة في الجزيرة العربية بأسرها.

الاعتبار الخامس: اعتبار الدعوة وانتشارها، وذلك من جهات عدة:

- من جهة: الحفاظ على حياة من معه ليواصل بهم الدعوة.
- ومن جهة أخرى: تأمين جبهة شرسة كانت رأس الحربة في قتاله، وهي جبهة قريش.

- والجهة الثالثة: فتح باب التحالفات، والتي ستؤدي إلى التواصل مع القبائل التي تريد الدخول في حلف المسلمين لوجود ضغائن بينها وبين قريش.

- الجهة الرابعة: أن يخلوا بينه وبين الناس، يتوجه إليهم بالدعوة ويتواصل معهم، ولذلك قال لأحد من أرسلتهم قريش إليه: إن شاءوا ماددتهم مُدَّةً ويُحِلُّوا بيني وبين الناس.

من أجل هذه الاعتبارات والمصالح العظيمة احتمل النبي ﷺ تلك المفاصل التي ذكرناها.

هناك عدة قواعد تؤدي بمجموعها إلى تعظيم المصالح وتقليل المفساد قدر

الطاقة:

القاعدة الأولى: اعتبار القدرة والعجز:

الواجب الانشغال بالمقدور عليه ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والتقصير في المقدور عليه بزعم الانشغال بالمعجوز عنه يؤدي إلى فوات المقدور وعدم تحقق المعجوز عنه.

القاعدة الثانية: تفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعلاهما:

فإذا ازدحم واجبان فالأصل الجمع بينهما، فإن عجز فإنه يفوت الأدنى لتحصيل الأعلى؛ ولا يكون بتركه للأدنى تاركاً لواجب، ولا يحق لأحد لومه على ما فاته، وإنما يمدح على ما أتى به من واجب ويثاب، ويعذر فيما فوت؛ لأنه يكون حينئذ عاجزاً عنه لعجزه عن الجمع بين الواجبين.

القاعدة الثالثة: ارتكاب أخف المفسدتين دفعاً لأشدّها:

فمن خشي فوات نفسه جوعاً جاز له أكل المحرم، فیرتکب مفسدة أكل المحرم دفعاً لمفسدة فوات النفس بالموت.

وإذا اجتمع محرمان فالأصل الامتناع عنهما جميعاً لكن إذا لم يستطع أن يمتنع عنهما جميعاً إلا بارتكاب أحدهما ارتكب أخفهما تجنباً للأعظم، فلو كان أمامه طريقان: طريق فيه مفسد، وطريق فيه مفسد أعظم، فلو امتنع فرض عليه ما كان فيه المفسد الأعظم كان عليه أن يسلك الطريق الذي مفسده أقل، ولا يلام على ما حدث من مفسد في تلك الطريق التي سلكها وإنما يمدح لأنه تجنب ما كان أعظم منها.

القاعدة الرابعة: اعتبار المآلات:

وهو أن تأخذ التصرفات والأفعال أحكام ما تؤول إليه، فإن كانت تؤدي إلى مفسدة كانت محرمة، وإن لم يكن في الفعل نفسه مفسدة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فنهى عن سب الأصنام، مع أن في سبها مصلحة تحقيرها في نفوس أهلها، لأن ذلك يؤول في النهاية أن يسب عباد الأصنام الله **عَزَّجَلَّ**، فاعتبر المآلات ونهى عن سبهم.

القاعدة الخامسة: الضرر يزال قدر الإمكان:

وهذا أصل عظيم أن الإنسان لا يترك إزالة العمل على تقليل المفسدة وتقليل الضرر بحجة أنه غير قادر على إزالتها كلها بل هو متعبد بالمستطاع ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال الله **عَزَّجَلَّ** على لسان شعيب **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].



طبيعة حركة المنهج في المجتمعات كالنهر الجارى لا كالصخور المتحدرة

إن حركة المنهج الإصلاحى في المجتمعات كالنهر الجارى، فلا تعوقه عوائق، ولا توقف مسيرته عقبات، فكلما وضع مناوؤوه أو من لا يفهمونه أمامه صخرة لم يحدث جلبة ولا ضجة في الاصطدام بها، وإنما يسير من حولها وأحياناً يكون تدفقه كبيراً فيتجاوز تلك العقبة من فوقها ليوصل طريقه ومسيرته، لتطهير الأرض، وسقي الزروع، لا يفرق في نفعه بين عدو وصديق، وإنما نفعه يعمُّ الجميع، لا يمنع خيره عن أحد، وهناك من يسير في رؤيته للتغيير كالصخور المتحدرة، تصطدم مع الأرض بقوة، تحدث دماراً، وإن لم تحدث دماراً أحدثت جلبة منفرة.

وإذا وجدت في طريقها عقبة من العقبات، سواء وضعت بفعل فاعل، أو كانت من طبيعة الطريق، اصطدمت الصخرة وتوقفت عن التقدم، بل قد يكون الاصطدام شديداً، فتراجع إلى الخلف، وقد تصطدم بمشيلاتها من الصخور مما يؤدي إلى مزيد من الدمار والعقبات في الطريق.

فطبيعة حركة المنهج الإصلاحى في المجتمع كالنهر الجارى، الذي لا تعوقه عوائق مهما تكاثرت، بل هو مستمر في التدفق إذا أغلقت أمامه قناة شق لنفسه قنوات لشدة تدفقه وجريانه، ولذلك لا ينبغي أن يقال: فلان منع من العمل الإصلاحى، وإنما يقال: فتن عن العمل الإصلاحى؛ لأنه لا يمكن منع من أراد الإصلاح من خارجه؛ لأن النهر

الجاري لا يمكن إيقافه ولا يتوقف إلا من كان كالصخور، لأدنى عائق يوضع أمامه، فإما أن يتوقف، وإما أن يصطدم بعنف، فينحرف عن مساره، بل يعرقل مسار غيره، فهذا افتتان وليس منعاً، فالصواب في مثل هذا أن يقال: فتن عن الإصلاح، ولا يقال: منع لأنه لا قبل لأحد بمنع المسيرة الإصلاحية إذا أحسن حملتها التعرف على مسارات الإصلاح المتاحة وما أكثرها على جميع المستويات.

البعض يحبس نفسه في صورة واحدة أو صور محدودة من صور الإصلاح، فإذا وجد أمامه فيها بعض العقبات وقف يبكي عليها، ويندب حظه، ويلقي اللوم على الظروف والأحوال، ويأس ويحبط ويصدّر اليأس والإحباط، لغيره وفي أحيان كثيرة لا يتوقف عند اليأس والإحباط، وإنما يذهب إلى البحث عن الطرق المنحرفة للتغيير، وهي الطرق الصدامية.

ولو تدبر أمره لوجد أعمالاً إصلاحية هائلة، لا أحد يمنعه منها سواء كانت على مستوى الفرد والأسرة، أو كانت على مستوى المجتمع، أو كانت على مستوى نظم الحياة، فالمجالات الإصلاحية كثيرة، وكلها أو جلها تعد من الواجبات الشرعية لكن من كانت مسيرته كالصخرة لا يرى شيئاً من هذا.

وأنا أسوق هنا مثلاً لرجل قاد مسيرة إصلاحية في ظل احتلال متربص، وظروف صعبة، لكنه استطاع وبكل هدوء أن يصل برؤيته الإصلاحية إلى قطاع عريض من المجتمع حتى أصبح أتباعه والأجيال التي رباها وقوداً لمعركة تحرير بلاده (الجزائر) من الاستعمار الفرنسي بعد وفاته بعدة أعوام.

عبد الحميد بن باديس ومنهجه الإصلاحي:

- ولد عبد الحميد بن باديس في ديسمبر ١٨٨٩م بقسنطينة من عائلة تعود أصولها إلى بني زيري.

- تلقى تعليمه الأول بمدينة قسنطينة على يد الشيخ حمدان لونيسي، وحفظ القرآن الكريم في صغره، ثم انتقل سنة ١٩٠٨م إلى تونس لمواصلة تعليمه بجامعة الزيتونة لمدة أربع سنوات.

- حصل خلالها على إجازة الزيتونة، وتعلم فيها على يد الشيخ الطاهر بن عاشور وغيره من علماء الزيتونة.

- ومن تونس رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، واستقر بالمدينة المنورة فالتقى معلمه الأول حمدان لونيسي وهناك واصل تلقي العلم حتى حاز درجة العالم، وقد أشار عليه شيخه أن يبقى في المدينة المنورة ليعلم الوافدين إليها في المسجد النبوي ويعيش حياته في المدينة المنورة.

لكن الشيخ أحمد بن حسين الهندي نصحه أن يعود إلى الجزائر المحتلة من الفرنسيين ليقوم بواجبه الدعوي فيها، لإيقاظ الشعب الجزائري وإنقاذه من الجهل والخرافات ليقوى على مقاومة الاستعمار، فرجع إلى الجزائر، وبدأ عمله الإصلاحي الذي لم يكتف بشكل معين أو جانب واحد من جوانب الإصلاح، بل سلك كل السبل المتاحة للإصلاح، وكلما منع من سبيل سلك سبلاً أوسع وأكثر فاعلية.

أصول منهج ابن باديس الإصلاحي ورؤيته الإصلاحية:

خلاصة أصول منهج ابن باديس ورفاقه هو ذلك الشعار الذي اتخذوه لمجلة الشهاب (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) أي العمل بالكتاب والسنة

وفقاً لفهم أعلم الناس بالكتاب والسنة وهم أعلام القرون الثلاثة الخيرية ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يقول الشيخ ابن باديس **رَحِمَهُ اللهُ** في مقدِّمة كتبها لرسالة الشيخ العلامة عبد الله بن الشيخ محمد التميمي إلى الشيخ العلامة عبد الله الصنعاني لما نشرها في «الشهاب» نقلاً عن مجلة «المنار»: «لم يَزَلْ في هذه الأمة في جميع أعصارها وأمصارها من يجاهد في سبيل إحياء السنَّة وإماتة البدعة بكلِّ ما أُوتِيَ من قدرة، ولَمَّا كانت كُلُّ بدعة ضلالةً محدثة لا أَصَلَ لها في الكتاب ولا في السنَّة؛ كان هؤلاء المجاهدون كلُّهم (يَدْعُونَ الناس إلى الرجوع في دينهم إلى الكتاب والسنَّة وإلى ما كان عليه أهل القرون الثلاثة: خير هذه الأمة الذين هم أَفقه الناس فيها، وأشدُّهم تمسُّكاً بهما)».

وقد اختصر مشروعه الإصلاحي في هذه العبارات المشهورة عنه: (الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا) وقد وقف في وجه دعاة الاندماج في الثقافة الفرنسية وقاومهم بفكره وكتاباتة.

وحارب الطريقة والتصوف السلبي الذي أفرز عادات وخرافات لا تتماشى وتعاليم الإسلام الصحيحة، بل تؤدي إلى تحدير الشعوب واستسلامها لمن يقودها إلى محو هويتها والتبعية لأعدائها.

كما نبذ الخلافات الهامشية بين شيوخ الزوايا، ودعا إلى فهم الإسلام فهماً صحيحاً بعيداً عن الدَّجَل والشعوذة ورفض التقليد الأعمى والارتباط بالإدارة الاستعمارية.

وقد اعتمد ابن باديس على عقلية الإقناع في دعوته إلى إصلاح أوضاع المجتمع، وأخذ على عاتقه العمل الدعوي، والإصلاح الاجتماعي، والنضال الوطني، كغاية له في

حياته كلها أنفق فيها كل وقته وإمكانياته، وقد عبّر عن ذلك بعنوان لمحاضرة له ألقاها افتتحها بقوله: «لن أعيش؟» ثم أجاب عن السؤال: «أعيش للإسلام وللجزائر» حيث كان الاحتلال الفرنسي يسعى جاهداً لطمس الهوية الإسلامية، وتذويب الجزائريين في الثقافة الفرنسية، وكانوا قد استخدموا في ذلك جميع الوسائل، والتي منها بعض الطرق الصوفية.

النشاط الإصلاحي:

نظرية ابن باديس في التربية تقوم على أنه لا بد أن تكون البداية من الفرد، فإصلاح الفرد هو الأساس، وأن طريق الإصلاح يبدأ بالتعليم والتربية، والعمل على إيجاد طليعة من الكوادر الذين يحملون الهم، ويتحملون المسؤولية على علم وبصيرة، ولذلك فبعد استقراره بقسنطينة باشر تأسيس المدارس، وتولّى بنفسه مهمة التعليم.

* وحرص على تحفيظ القرآن وتفسيره.

* وشرع في التدريس بالجامع الأخضر لعلوم الوحي، واللغة العربية التي تعد عند المحتل الفرنسي لغة منبوذة يمنع تدريسها، فهي في عرف الاستعمار لغة أجنبية.

* وخصص جهوده كمرّب، وما أوتي من ملكات ومواهب للتعليم بدءاً من العلوم التربوية كالأدب والتاريخ والجغرافيا إلى العلوم المدنية والدينية.

* وفسر القرآن كله خلال خمس وعشرين سنة في دروسه اليومية كما شرح موطأ مالك خلال هذه الفترة، وكان ينظم بمقر رابطة الإغاثة الإسلامية بقسنطينة وبمساعدة تلامذته دروساً مسائية للكبار.

* كما افتتح مدارس خاصة بالكبار لمحو الأمية.

* كما اهتم بالمرأة من خلال المطالبة بتعليم الفتيات إذ أنشأ أول مدرسة للبنات

بقسنطينة سنة ١٩١٨ م.

* واعتبر تعليم المرأة من شروط نهضة المجتمع، لكن تعليم المرأة لا يعني تجاوز التقاليد والأخلاق الإسلامية.

* وكان يوجه نشاطه التربوي نحو الشباب، ذكورًا وإناثًا، وللکبار، على حد سواء.

وقد استخدم كل الوسائل المتاحة في الدعوة إلى منهجه الإصلاحي ليخرج الكوادر التي تحمل المنهج حملاً صحيحاً وتقوم به حق القيام.

ولم تأت سنة ١٩١٨م حتى ظهرت آثار قدرة ابن باديس التنظيمية الفائقة بإرسال الدفعة الأولى من الطلبة الجزائريين إلى جامعة الزيتونة بتونس، وكان المأمول أن يصبحوا الطليعة الأولى للتعليم الحر، فاتحين المجال لبعثات دراسية مبرمجة دورياً.

ابن باديس والعمل الجماعي والجمعيات الإصلاحية:

كان يرى أن العمل الإصلاحي لا بد أن يقوم على عقيدة راسخة، وتتضافر الجهود وتتعاون على تحويل المنهج النظري إلى واقع عملي، ولا يستطيع المصلحون فرادى أن يحققوا الغاية المنشودة لإصلاح الأمة.

يقول: (إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتشاور وتتآزر، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة) وقد كان في رحلته للحج قد التقى بصديقه ورفيق دربه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وتناقشا معاً في كيفية القيام بعمل جماعي للنهوض بالأمة التي أنهكها الظلم الاستعماري، وفتك بها الجهل والامية والطرق الصوفية المنحرفة.. وقد يسر الله لهما ذلك فيما بعد.

ففي سنة ١٩٢٤م كان قد عاد جمع من الشيوخ من المشرق الإسلامي. فقد عاد الشيخ الطيب العقبي من الحجاز وأقام بسيدي عقبة، وأسس جريدة الإصلاح، وعاد الشيخ البشير وأقام بسطيف، وعاد العربي التبسي من القاهرة حيث كان يدرس بالأزهر ليقوم بتبسة.. وفي هذه السنة عادت فكرة تنظيم العمل ولم تشمل الجهود على مستوى أوسع وأشمل، فكانت المحاولة الأولى لعمل جمعية تضم الجميع في عمل منظم أوسع مدى وانتشاراً وأكثر تأثيراً، وكانت تسمية الجمعية المقترحة من طرف الشيخ ابن باديس التي تقدم بها لأخيه البشير «جمعية الإخاء العلمي» وطلب منه وضع قانون أساسي لها، ولكن الأمور تعطلت لفترة زمنية.

لكن ابن باديس أصرَّ على العمل الجماعي فوسَّع نشاطه ليفتح عدة مدارس في جهات مختلفة من الوطن، بالتعاون مع شيوخ الإصلاح أمثال البشير الإبراهيمي ومبارك الميلي وغيرهم..

ومن جهة أخرى، ظهرت شيئاً فشيئاً إلى الوجود، بإيعاز منه وتحت إشرافه مراكز ثقافية كان أشهرها «نادي الترقى» بالجزائر العاصمة الذي كان يشرف على إدارته الطيب العقبي، أحد رفاق ابن باديس الأوفياء، وقد اتخذ نشاط المجموعة من أجل إحياء المسلمين الجزائريين أخلاقياً، وبعث إسلام أصيل في نظرها، وتأكيد الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري أشكال عدة.

وفي عام ١٩٣١م عمل مع أقرانه من أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي والعربي التبسي والطيب العقبي على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وانتخب رئيساً لها إلى غاية وفاته ١٩٤٠م.

والتي كان لها أثر كبير في جمع الجهود وتعظيم أثرها كما كان لها أثر في نشر ذلك المنهج الإصلاحي الذي يتبناه هؤلاء العلماء.

وقد ذكر البشير الإبراهيمي أهم أنشطة الجمعية وأعمالها في النقاط

التالية:

١- تنظيم حملة جارفة على البدع والخرافات والضلال في الدين، بواسطة الخطب والمحاضرات، ودروس الوعظ والإرشاد، في المساجد، والأندية، والأماكن العامة والخاصة، حتى في الأسواق، والمقالات في جرائدنا الخاصة التي أنشأناها لخدمة الفكرة الإصلاحية.

٢- الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار، فيما تصل إليه أيدينا من الأماكن، وفي بيوت الآباء، ربحاً للوقت قبل بناء المدارس.

٣- تجنيد المثات من تلامذتنا المتخرجين، ودعوة الشبان المتخرجين من جامع الزيتونة للعمل في تعليم أبناء الشعب.

٤- العمل على تعميم التعليم العربي للشبان، على النمط الذي بدأ به ابن باديس.

٥- مطالبة حكومة الاحتلال الفرنسي برفع يدها عن مساجدنا ومعاهدنا التي استولت عليها، لنستخدمها في تعليم الأمة دينها، وتعليم أبنائها لغتهم.

٦- المطالبة بتسليم أوقاف الإسلام التي احتجزتها ووزعتها، لتصرف في مصارفها التي وُقِّعت عليها. (وكانت من الكثرة بحيث تساوي ميزانية دولة متوسطة).

٧- المطالبة باستقلال القضاء الإسلامي، في الأحوال الشخصية مبدئياً.

٨- مطالبة الحكومة بعدم تدخلها في تعيين الموظفين الدينيين.

اهتمامه بالشأن العام من خلال المجال الصحفي وبيان معالم منهجه

الإصلاحي من خلاله:

فقد اهتم هو ورفاقه بالمجال الصحفي فقاموا ابتداء من سنة ١٩٢٥م بنشر جريدة المنتقد، وفي أعمدها باشر هو ورفاقه نشر الأفكار الإصلاحية، وقد منعت الجريدة من الصدور ابتداءً من عددها رقم ١٨ لأنها كانت -في رأي الإدارة الاستعمارية- تحريضية. لكن ابن باديس بقي على إصراره وأصدر بعدها «مجلة الشهاب» وعدة منشورات دورية، - الصراط - الشريعة - السنة - وأخيرًا البصائر.

وكان يكتب في المجالات والجرائد التي أصدرها عن واقع المسلمين، وخاصة في الجزائر، ويهاجم فرنسا وأساليبها الاستعمارية، ويشرح أصول السياسة الإسلامية.

كما كانت صحف جمعية علماء المسلمين التي يرأسها ابن باديس تعالج أيضًا مختلف القضايا الدينية والسياسية الجزائرية والإسلامية، وتهتم بنشر العقيدة السليمة ومحاربة البدعة والخرافة.

تواصله مع القوى السياسية لجمع الكلمة الوطنية:

في سنة ١٩٣٦م دعا الشيخ ابن باديس إلى عقد المؤتمر الإسلامي، وبغض النظر عن جدواه وما كان من نتائجه، إلا أنه استطاع من خلاله جمع كل التيارات السياسية والإصلاحية في البلاد، وشكّل وفدًا ليحمل مطالب الجزائريين للسلطات الفرنسية، ولكن العجرفة الاستعمارية ردت عليه خائبًا، فعاد ابن باديس من فرنسا، وغير شعار «شهابه» الذي كان «جميع الحقوق لمن قاموا بكل الواجبات» ليصبح «فلنعتد على أنفسنا ونتكل على الله»؛ لأنه شعر بتهديد مبطن من طرف وزير الحرب الاستعماري الذي قال له: «عندنا المدافع» فرد الشيخ عليه قائلاً: «ونحن عندنا مدافع الله»، وبعد العودة ألقى

خطاباً متميزاً في التجمع الذي نظمه وفد المؤتمر بتاريخ ٢٠ أوت ١٩٣٦ م لتقديم نتائج رحلته، وقد كان خطاب عبد الحميد بن باديس معبراً عن مطالب الجزائريين، واستمر ابن باديس في الدعوة إلى منهجه الإصلاحي إلى أن توفاه الله عَزَّوَجَلَّ.

وفاته وبقاء فكرة منهجه:

كانت وفاة ابن باديس عام ١٩٤٠ م بعد أن قضى حياته مؤصلاً لمنهج إصلاحي ظل يدعو إليه ويوضح معاملة حتى صار قضية أمة.

لقد عمل ابن باديس على تحويل ذلك المنهج الإصلاحي الذي يتبناه إلى واقع عملي، وقد كان من القلائل من المصلحين في العصر الحديث الذين أتيحت لهم فرص التطبيق العملي لمبادئهم فرشيد رضا مثلاً كان يحلم بمدرسة للدعاة ولكن حلمه لم يتحقق له كما تحقق لابن باديس.

وهو وإن كان كغيره من العلماء والمصلحين يؤخذ عليه بعض الاجتهادات التي لم يحالفه فيها الصواب، فكل يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لكن حسبه أن الأجيال التي رباها كانت وقود معركة تحرير الجزائر بعد وفاته بعدة أعوام، فقد تمكن -بعون الله عَزَّوَجَلَّ وتوفيقه- من تربية جيل جزائري كامل، وتكوين أمة تدرك شخصيتها الإسلامية والعربية، وذلك بعد أن حارب الطرقية والخرافة والجهل، وفضح وكشف ألاعيب المحتلين الفرنسيين وأذنانهم.

كما أنه أرسى في الجزائر العمل الدعوي المؤسسي، ودعم الإعلام الهادف، وسخره لمصلحة الجزائر.

والمنهج الإصلاحي الذي أحياه وبثه في ربوع الجزائر ظل وسيظل ملهماً لمن أرادوا السير على الطريق الذي سلكه المصلحون عبر العصور.

فقد جسدت تجربته رؤية إصلاحية فريدة تثبت أنه يمكن لأصحاب الرؤى الإصلاحية تحويل نظريتهم الإصلاحية-وفي أصعب الظروف- إلى واقع عملي من خلال التعليم وتربية الأفراد على العقيدة الصحيحة، والفهم الواعي، والعمل الجماعي، والتعاون على البر والتقوى، والتواصل مع كل فئات المجتمع والعمل الاجتماعي، والعمل الخيري، والجمعيات الأهلية، والنوادي الثقافية، والتفوق الدراسي، والعمل الصحفي، والاهتمام بالشأن العام، والتواصل مع القوى السياسية والوطنية وجميع فئات المجتمع، وذلك كله إذا استطاع أصحاب هذا المنهج توظيف جميع الطاقات بكل الوسائل المتاحة، وقدموا النموذج المؤثر في كل المجالات، ودافعوا به النماذج المقابلة بالحكمة والموعظة الحسنة دون استعجال أو ملل، ولا يأس ولا إحباط ولا تهور.

بل يتحلوا بالصبر واليقين والمثابرة وحسن الظن بالله **عَزَّوَجَلَّ**.



حملة المنهج هم أصحاب النفوس الكبار

لا أصحاب النفوس المشوهة

أصحاب النفوس الكبيرة هم أصحاب تلك النفوس التي لا تعرف اليأس أو الإحباط.

هم أصحاب تلك النفوس الرحيمة بالخلق الحريصة على إصلاحهم وهدايتهم لا التشفي والانتقام منهم.

هم أصحاب تلك النفوس التي تعمل على رفع المعاناة عن المجتمع لا الفرح بمصائبه. هم أصحاب تلك النفوس التي تبذل الخير والمعروف بكل ما أوتيت من قوة ولا تبتغي من وراء ذلك من الناس جزاءً ولا شكوراً وإنما تبتغي وجه الله والدار الآخرة.

قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

[طه: ١١٢]

وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لَّسَعِيدِهِ﴾.

[الأنبياء: ٩٤]

وقال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان].

نفوس مثلها كمثل النخلة يرميها الناس بالحجارة فترد عليهم بأشهى وأطيب الرطب.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرْقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ. ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، مَا أَخَذَتْ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ».

وعلى العكس منها تلك النفوس المشوهة التي أصابها الإحباط واليأس ولم تصبر على المنهج الإصلاحي.

فمنها من أحبط ويأس وترك العمل للدين بالكلية بل غالباً ما يتراجع عن تدينه الشخصي.

والأخطر هم الذين بلغ بهم اليأس والإحباط حتى أصابهم بالتشوهات النفسية، وحوّلهم إلى معاول هدم وإفساد حين وقعوا بسبب يأسهم وإحباطهم فرائس سهلة لدعاة العنف والصدام.

وما ذلك إلا لأنهم في مسيرتهم التي يزعمون أنها إصلاحية كانوا كالصخور المنحدرة تصطدم مع الأرض بقوة تحدث دماراً وإن لم تحدث دماراً أحدثت جلبة منفرة.

وإذا وجد في طريقها عقبة من العقبات سواء وضعت بفعل فاعل أو كانت من طبيعة الطريق اصطدمت الصخرة وتوقفت عن التقدم بل قد يكون الاصطدام شديداً فتراجع إلى الخلف وقد تصطدم بمثيلاتها من الصخور مما يؤدي إلى مزيد من الدمار والعقبات في الطريق.

هكذا تشوه تلك النفوس فيؤدي بها هذا التشوه إلى تجاوزات لا يعلم مداها إلا الله، حتى يصل الأمر إلى تجاوز الحرمات فلا تردعها حرمة الأموال والممتلكات ولا حرمة الدماء والأنفس والأرواح، بل تتجاوز حرمة المساجد وتصبح المساجد ساحات لعملياتهم الإجرامية، بل إن المدينة النبوية لم تسلم من إفسادهم.

فتصير تلك النفوس معاول هدم وصد عن سبيل الله وإفساد، بدلاً من أن تكون لبنات بناء وإصلاح وتأليف للقلوب، بل تصير نفوس معقدة حاقدة على المجتمع تتمنى له كل شر وضيق ودمار وتفرح بما يصيبه من مصائب.

وذلك بسبب اليأس والإحباط الذي جعلهم العوبة في أيدي أصحاب العقول المنحرفة الذين يقودونهم إلى الفساد والإفساد ويمسخون عقولهم، فيسيرون على غير هدى حتى إن أحدهم لا يسأل نفسه: ما هو المبرر الشرعي أو الدافع العقلي لتلك الجرائم التي فاقت كل الحدود التي تجعل المصلي غير آمن في صلاته، بل والمحرم غير آمن في نسكه في الحرم، بل والجندي الصائم في رمضان في الصحراء غير آمن أن يطعن من الخلف بخسرة وغدر منقطع النظر، بل تجعل المجتمع غير آمن في مسيرته أن تأتيه مصيبة من هنا أو من هناك.

إنما وصلت هذه الشخصيات إلى هذه الدرجة من الانحراف والقسوة والغلظة والحقده على المجتمع، وهم ينسبون هذا الانحراف إلى الدين، وينسبون هذا الإجرام إلى أعمال الإصلاح والدعوة إلى الله؛ لأنهم لم يتعرفوا على سمات المنهج الإصلاحي، منهج الأنبياء في الإصلاح والتغيير ذلك المنهج الرباني الذي لا يحتمله إلا أصحاب النفوس الكبار.

وأضرب هنا أمثلة لهذه النفوس الكبيرة:

المثال الأول: ما ورد في السيرة النبوية من أخبار الإيذاء والتعذيب الذي لقيه النبي وأصحابه من المشركين حتى اضطر الكثير منهم إلى الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينه، ثم أتى النبي ﷺ أهل الطائف لعله يجد منهم من يعقل أو يفهم، فردوا عليه بالرفض والإيذاء، وأغروا به السفهاء فرموه بالحجارة وأدموا قدميه واستهزؤوا به ﷺ، فأرسل الله إليه ملك الجبال قائلاً: لو أردت أن أطبق عليهم الأخشبين (الجبليين) لفعلت. فرفض النبي ﷺ قائلاً: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً».

عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟» فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً».

فهذا النبي ﷺ يصبر عليهم لعله أن يخرج من أصلابهم من يستجيب لدعوته، وفي هذا من التأمل بالخير وطول النفس والصبر وعدم الاستعجال من الدروس العظيمة ما فيه.

المثال الثاني: شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد سعى مخالفوه من الفقهاء لدى الإمراء في سجنه فسجن مرات عديدة بفتاواهم وسعيهم في ذلك، وكذلك منع من التدريس

والإفتاء، بل سعوا في قتله والتخلص منه مرات، أما هو حين قدر واقتنع الأمير بقوله أراد الأمير أن يستخرج من شيخ الإسلام فتوى بقتل هؤلاء الفقهاء فرفض شيخ الإسلام وكان منه هذا الموقف الذي يدل على هذه النفس الكريمة الكبيرة.

«حدّث ابن عبد الهادي عن شيخ الإسلام أن سلطان مصر الناصر بن قلاوون استقدم الشيخ عنده ورَحَّب به ثم أخرج له من جيبه فتاوى لبعض علماء مصر الذين أفتوا بقتل ابن تيمية، واستفتى السلطان ابن تيمية في أن يقتل بعضهم ممن زوروا على ابن تيمية وافتوا في قتله. قال الشيخ ابن تيمية: ففهمت مقصود السلطان ابن قلاوون، وعلمت أن عنده حنقًا شديدًا عليهم لأنهم كانوا قد خلعوه وبايعوا ركن الدين بيبرس الجاشنكير، يقول ابن تيمية: فشرعت في مدح هؤلاء العلماء وشكرهم، وأنهم لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، وأما أنا فهم في حلٍّ من حقي ومن جهتي.

قال ابن تيمية: فكان القاضي زين الدين بن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك: ما رأينا أنقى من ابن تيمية لم نبق ممكناً في السعي لقتله إلا وفعلناه، ولما قدر هو علينا عفى عنا).

المثال الثالث: العز بن عبد السلام، الذي ظل ملاصقًا لتأخري سلاطين الأيوبيين مع ما كان في دولتهم من الضعف والخلل إلا أنه ظل ناصحًا لهم أمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر حتى كانت اللحظة المواتية التي نصح فيها بتولية سيف الدين قطز الذي أنقذ الله به البلاد والعباد من التتار فأعدَّ جيشًا كبيرًا وجَهَّزه في عام واحد من توليه البلاد وهزم التتار به في عين جالوت.

والأمثلة في التاريخ كثيرة لتلك النفوس الكبيرة الجديرة بحمل هذا المنهج الإصلاحي، وسيأتي مثال آخر من أعظم الأمثلة للنفوس الكبيرة، وهو مثال نبي الله يوسف، والذي سنتناول طرفًا من أخباره عند الحديث على صناعة التأثير.

المنهج يحمل في طياته عوامل الإحياء الحضاري

وهي تلك العوامل التي إذا وجدت من يحملها حملاً صحيحاً فإنها من شأنها أن تعيد الحضارة الإسلامية للمنافسة مرة أخرى، تلك العوامل هي:

(أ) اعتقاد المسلم أن الإسلام منهج حياة، وليس مجرد علاقة روحية بين الإنسان وربّه وإنما هو أوسع من ذلك يشمل جميع مجالات الحياة، يضع لها القواعد والضوابط التي تضمن الاستقرار والازدهار والبناء والتعمير وتظل الإنسان في كل الميادين بما يضمن السعادة في الدارين، هذا التصور الواضح لحقيقة الإسلام يجعل المؤمنين به يسلكون كل سبل الإصلاح سواء كان على مستوى الفرد والأسرة أو على مستوى المجتمع أو على مستوى نظم الحياة وذلك عن طريق الأعمال الدعوية والاجتماعية والسياسية وهذا يزعج دعاة العلمانية الذين بنوا نظريتهم على فصل الدين عن الحياة فهذا التصور يضرب العلمانية في مقتل فكيف إذا تحول إلى واقع عملي، يقول السناتور الجمهوري الأمريكي (بات بوكانان): «مسألة عودة الإسلام كنظام حياة مجرد وقت لا أكثر»... ويضيف: (الحقيقة أن أمريكا وجيوشها وترساناتها لا تستطيع مقاومة الحضارة القادمة لأن ثبات الإسلام وقدرته على الاحتمال مبهره حقاً....

(ب) **معيّار الفهم لهذا الإسلام**، وهو ذلك المعيار الذي لا خلاف عليه وهو معيار يضمن الثبات والاستقرار للأصول والثوابت ويتيح بقواعده الواقعية والمرونة مع المستجدات لكن في إطار ثابت يمنع من الانحراف وذلك المعيار هو «الكتاب والسنة بفهم أعلم الناس بالكتاب والسنة - الصحابة والتابعين وتابعيهم -» أي فهم الكتاب

والسنة من خلال تلك القواعد التي أرساها أئمة القرون الخيرية الثلاثة الذين أثنى عليهم النبي ﷺ حين قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وقال النبي ﷺ واصفاً المصلحين على مر الزمان الذين يصلحون ما أفسد الناس قال: «هم الذين على ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

هذا المعيار يحفظ على الأمة تميزها واستقلالها الفكري والمنهجي والثقافي وهي عوامل أساسية في ثبات واستقرار الهوية التي على أساسها يكون تمايز الحضارات، ثم إن هذا المعيار هو المخرج من الخلافات التي تقود في النهاية إلى الفتن والمحن وتحدث انشقاقات وانشطارات من شأنها أن تعوق الأمة عن مسيرتها يقول النبي ﷺ: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

(ج) العامل الثالث «عامل الوعي الحضاري»: وهو يقين المسلم أن له حضارة

متميزة قادرة على إسعاد البشرية كلها وأن هذه الحضارة سوف تستعيد مكانتها العالمية إن وجدت من يحملها، ويزيح الغبار عنها ويعرضها بصورتها الصحيحة النقية.

يقول السير وليام ناتنج في كتابه (العرب): «بما أن محمداً قد جمع أتباعه في القرن السابع الميلادي وبدأ في الانتشار المذهل في العالم .. فإن على الغرب أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة صلبه عنيدة تواجهنا عبر المتوسط».

ومعركة الوعي الحضاري اليوم معركة شرسة يبذل فيها العلمانيون وأتباعهم بذلاً هائلاً في تشويه التاريخ الحضاري لهذه الأمة لدى الجميع وخصوصاً أبناء الأمة أنفسهم ليكونوا ناقلين على ماضيهم بدلاً من أن يكونوا فخوريين به لتجعلهم هذه النعمة

حريصين على الهروب من ذلك التاريخ يحاولون طمسه تحت شعار تنقية التراث وتجديد الخطاب وغيرها من الشعارات ومثل هؤلاء المغيين المخدوعين لا يمكن أن يعملوا عملاً حقيقياً للإحياء الحضاري، وهذا هو المراد للعلمانيين.

أما من كان عنده ذلك الوعي الحضاري الفخور بماضي الأمة الحضاري المدرك لما تمر به هذه الأمة من المنعطف الذي لا ينبغي أن تنزلق فيه ثقافياً وحضارياً كما انزلقت حضارات سابقة في المنعطفات التي اعترضت طريقها وتلاشت تلك الحضارات ولم يعد لها ذكر إلا بعض الآثار المتناثرة هنا وهناك لأنها حضارات كانت تركز على هويات وضعية ليست مستمدة من الوعي وكذلك لم تجد من يعتقد وجوب إحيائها واستمرارها، ومن كان عنده ذلك الوعي الحضاري فهو صاحب هم وهدف ومبدأ فهو فخور بماضييه المشرف متألم أشد الألم بواقع الأمة المؤسف لكنه مؤمن بعودة الريادة والقوة لحضارته العظيمة وهو يدرك أن عودة تلك الريادة الحضارية لن تأتي هكذا فجأة وبدون أسباب بل لابد من سلوك سبلها وتحصيل أسبابها وهذا واجب صاحب الوعي الحضاري والمنهج الإصلاحي الذي يحمله.

ولما كان المنهج الإصلاحي يتسم بأناؤه بسمة الوعي الحضاري بل يعملون على إحيائه في نفوس غيرهم فيبثون في الناس ليل نهار أننا كأمة (لنا تاريخ حضاري مشرف ونؤمن بعودته ونحن جميعاً لبنات من لبنات إعادته كل على حسب قدرته ومجال مهنته الطبيب والمهندس والعامل والتاجر والموظف والطالب والرجل والمرأة والشاب والفتاة) كل يدرك دوره في الإحياء الحضاري ولو من خلال موقعه فقط، وجود هذا العامل وبوضوح عند حملة المنهج الإصلاحي ووجود التأصيل والتععيد له من خلال

المنهج الإصلاحي نفسه يجعل هذا المنهج في مرمى سهام أعداء تلك الحضارة الإسلامية العظيمة.

(د) **العامل الرابع:** هو القواعد الواقعية للإصلاح والتي تؤصل للإصلاح التدريجي الواقعي والتي تبين معالم وسمات تلك الطريقة التي ينبغي أن تسلك لإحياء هذه الحضارة من جديد المتمثلة في المنهج الإصلاحي المتدرج الواقعي البعيد عن الصدام والانفعال العاطفي.

تلك القواعد التي تجعل حملة المنهج يتقدمون بخطى ثابتة نحو هدفهم لا يدخلون في صدامات محسومة النتائج ضدهم وضد منهجهم، قواعد تضمن الحفاظ على الثوابت والمرونة في التعامل مع الواقع، قواعد تحفظ المنهج من الانحراف والكوارث من التهور والانحراف.

قواعد تفوت الفرصة على أعداء الإصلاح أن يدفعوا حملة المنهج الإصلاحي إلى الطرق المسدودة التي تقود إلى الصدام المدمر.

قواعد تجعل حملة المنهج الإصلاحي هم الأطول نفساً الأوسع صدرًا الأقدر على الحفاظ على ثباتهم الانفعالي.

(هـ) **العامل الخامس:** عامل الممانعة أن يذوب في غيره أو يهزم أمامه ثقافيًا حتى وإن ضعف عسكريًا أو اقتصاديًا فإن هذه الممانعة الثقافية تجعله يبقى موجودًا حتى لو كان خاملاً أما من لا يملك الممانعة الثقافية فإنه سرعان ما يذوب في غيره فلا يكون عنده الدافع بعد ذلك أن يحقق ذاته، وإنما تتحقق الممانعة بالحفاظ على هويتنا وتميزنا الثقافي وتطبيق قواعد الولاء والبراء بلا إفراط ولا تفريط.

(و) العامل السادس: العمل الجماعي المؤسسي والذي يفعل مبدأ الشورى والذي يحقق قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] العمل الجماعي المؤسسي من ضرورات المنهج الإصلاحي لكي تتضافر الجهود للقيام بفروض الكفايات المستطاعة والأخذ بالأسباب لتحصيل غير المستطاعة ولتتعاقب الأجيال على هذا.

(ز) العامل السابع: شمولية التصور للعمل الإصلاحي وهذا مبني على الفهم الصحيح للإسلام وأنه منهج حياة، (فالمسلم يتعبد بكل صور الإصلاح ويجتهد في استكمال معاني الإصلاح، ويرى لزوم العمل بكل صورة من صوره طالما كانت مشروعة مستطاعة ما يترتب عليها من مصلحة أكثر من المفسدة، فالتصور الإصلاحي يشمل:

- ١- إصلاح الفرد والأسرة.
- ٢- إصلاح المجتمع.
- ٣- إصلاح نظم الحياة.

(ح) العامل الثامن: وضوح التصور لمراتب الإصلاح وعدم ترك المستطاع منها وإن عجز عن غيره، فمراتب الإصلاح هي:

١- الإعذار: وهو أن تقول الحق وأن لم تجد من يصغي إليك فأنت تقول الحق معذرة إلى ربك ﴿وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

٢- التأشير: (أنك تقول ما تعتقد أنه حق وتجد من يسمع أو يتأثر ولكنه لا يمثل أو تجد من الأفراد من يمثل لكنهم قليل بالنسبة لعامة المجتمع، فبذرة الإصلاح هي الأعذار

وتنمو أشجاره وتتكاثر بالتأثير لثمر في النهاية التغير إذا تحققت سننه وأسبابه التي منها الأعذار والتأثير.

٣- التغير: وهو ثمرة الإعذار والتأثير، فمن أراد التغير والإصلاح فعلية بالأخذ بالأسباب إلى ذلك ومن أهمها الإعذار والتأثير.

والتغير قد يكون خاصاً وقد يكون عاماً، فالخاص هو ما يكون متعلقاً بفرد أو أفراد يقبلون الإصلاح وينضموا إلى قوافل المصلحين ومن التغير الخاص ما يتعلق بقضية إصلاحية ينمو التأثير بها ويزداد من اقتنع بها حتى تظهر في المجتمع ويقل المخالفون لها، أما التغير العام فهو ما يعم الإصلاح غالب المجتمع، وهذا له سننه التي لا تتغير وعلى رأسها ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(ط) العامل التاسع: عامل إحياء ثقافة إصلاح نظم الحياة بمعناه الشمولي في التصور المتدرج في أرض الواقع الذي ينمو شيئاً فشيئاً وترداد القناعات به لدى فئات المجتمع شيئاً فشيئاً، هذا المنهج يعمل على إحياء ثقافة إصلاح نظم الحياة في قواعده بل في الأمة جميعها بأن يتحمل كل فرد أيّاً كان موقعه رجلاً كان أو امرأة شاباً كان أو فتاة طبيياً كان أو مهندساً، زراعياً كان أو تجارياً، معلماً كان أو محامياً صياداً كان أو حرفياً، صيدلانياً كان أو بيطرياً -أيّاً كان موقعه- يعلم أن له دور إصلاحي ممكن ومتاح وفي نفس الوقت واجب عليه ويلزمه أن يتعاون مع غيره على إنجازه.



اعتماد السياسة البناءة في مجال إصلاح نظم الحياة

إصلاح نظم الحياة من خلال العمل السياسي له ثلاثة مستويات:

١- **مستوى السياسة العامة:** وهي المواقف والقرارات التي يتخذها الكيان في الشأن العام.

وهذه المواقف والقرارات تتخذ بناءً على خمسة مبادئ سيأتي ذكرها تحت عنوان «مبادئ وأركان السياسة البناءة».

٢- **مستوى السياسة التنفيذية المركزية:** وهو المستوى الذي يعني بإيجاد كوادراتكونقراط تحمل رؤية إصلاحية لنظم الحياة على مستوى الدولة (نظام الصحة - نظام التعليم - النظام الاقتصادي...) حيث تقوم بصياغة رؤية إصلاحية واقعية، وتقديمها للجهات المختلفة من باب المشاركة في صناعة رؤية عامة للإصلاح والبناء، وفي نفس الوقت لديها القدرة على المشاركة في تحويلها إلى واقع عملي إذا أتيحت لها فرصة المشاركة العملية

وهذا دور اللجان المركزية في الكيانات السياسية.

فدور اللجان المركزية في الكيان الإصلاحي إيجاد الكوادراتكونقراط وتنميتهم وتطويرهم في مجال تخصصهم الأكاديمي بالإضافة إلى ربط ذلك بالواقع حتى تكون رؤيتهم الإصلاحية واقعية قابلة للتنفيذ وفي نفس الوقت تنطلق من المرجعية الشرعية للكيان الإصلاحي الذي تنتمي إليه.

٣- **مستوى السياسة التنفيذية المحلية:** وهذا المستوى هو مستوى إصلاح نظم

الحياة من القاعدة أو على المستوى المحلي (مستوى المحافظة والمركز والقرية) حيث يقوم كوادر الكيان الإصلاحي حسب تخصصاتهم في كل مجال من مجالات الحياة بمهام خمس:

١- فاعليات يستهدفون بها أبناء المنهج من أبناء المهنة لنقل ثقافة إصلاح نظم الحياة إليهم وتحميلهم المسؤولية للتعاون معهم على الإصلاح من خلال مهنتهم.

٢- فاعليات يستهدفون بها أبناء المهنة عموماً (للتواصل معهم والاستفادة منهم ونقل تصورها الإصلاحي إليهم والتعاون معهم على الإصلاح من خلال المهنة).

٣- فاعليات يستهدفون بها المجتمع للتواصل مع المستطاع من فئات المجتمع وتقديم الخدمات والعمل على الإصلاح من خلال مجال المهنة.

٤- **حصر المشاكل المتعلقة بمجال المهنة سواء كانت مشاكل مهنية أو مشاكل في المجتمع** تتعلق بالمهمة كمشاكل الأطباء أنفسهم في مهنة الطب والمشاكل المتعلقة بالصحة في المجتمع.

حصر تلك المشاكل في الدائرة (المركز) واقتراح حلول لها وعمل أرشيف بذلك حتى لو لم نستطع حلها الآن.

٥- **التواصل مع مؤسسات الدولة المتعلقة بمجال المهنة (الزراعيين مع مديري الزراعة والمعلمين مع مديري التعليم وهكذا)** لتوصيل المشاكل والمساعدة في حلها والتواصل مع أبناء المهنة من خلال ذلك وصناعة قيادات المهنة من كوادرننا، والتواصل مع قيادات المهنة النقابيين وغير النقابيين.

كما يقوم الهيكل الإداري المؤسسي بالتواصل والتفاعل مع كل فئات المجتمع وأطيافه وتوسيع دوائر القواسم المشتركة مع الجميع للمشاركة الإيجابية والفعالة في الإصلاح وتعظيم الخير وتقليل الفساد وإعلاء الصالح العام ابتغاء مرضاة الله عز وجل.

كل ما سبق يعد بمثابة التطبيق العملي للسياسة البناءة والسياسة البناءة عند أصحاب المنهج الإصلاحي لا تركز على دعم أشخاص بعينها أو نظام بعينه تصفق له على طول الخط وفي نفس الوقت لا تأخذ خط المعارضة على طول الخط، وإنما مواقف أصحاب السياسة البناءة مبناها على تحقيق المصالح وتعظيمها ودرء المفسد أو تقليلها حسب الطاقة والإمكان، فمعيار المواقف والقرارات السياسية لأصحاب المنهج الإصلاحي:

أولاً: أن لا تخالف أمراً من الأمور الشرعية.

ثانياً: أن تعظم مصلحة أو تقلل مفسدة أو هما معاً، ولذلك فالسياسة البناءة تقوم على أركان، وهي:

(أ) دعم القرار والموقف الصائب حتى لو كان من المنافسين السياسيين لهم لأن الموقف أو القرار الصحيح الصائب سيصب في المصلحة العامة وهي مقدمة على المصالح الخاصة.

(ب) تقديم النصيحة في حالة القرارات المحتملة للتصويب والتخطئة (التي لا نجزم بخطئها وضررها) فتقدم النصيحة بوجهة نظرنا ولا نعمل على تشويه ذلك الموقف المحتمل لأنه يحتمل أن يكون هو القرار الصائب ويكون التشويش عليه مانع من تفاعل المجتمع معه مما قد يؤدي إلى إفشاله وهذا ليس في المصلحة العامة.

(ج) المعارضة للقرارات والمواقف التي نراها ضد مصلحة المجتمع أو تحمل ظلاً لأحد، فنعارضها معارضة منضبطة بضوابط المعارضة البنائة المثمرة لا المعارضة الصدامية التي تزيد الأمر تعقيداً.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن معارضة أو رفض القرار الخطأ تعد صورة من صور الإصلاح ولو تم تنفيذ ذلك القرار الخطأ ولم يجد المعارضون من يسمع لهم؛ لأن مراتب

الإصلاح ثلاثة: منها هذه المرتبة، مرتبة قول الحق وبيانه: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وقد كان هذا في شأن مخالفة شرعية تتعلق بأمر من أمور الاقتصاد، فإذا فعل أصحاب المنهج الإصلاحي ما يلزمهم من بيان الحق فهم على طريق الصلاح والإصلاح وإن لم يستجب لهم، قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ يَاسِيسٍ...﴾ [الأعراف: ١٦٥].

المرتبة الثانية: مرتبة التأثير: وهي أن يوجد من يسمع ويتأثر لكن لا يمثل لسبب أو لآخر فكلما اتسعت رقعة التأثير كلما قربت المرتبة الثالثة، وهي: التغيير، وعلى كل فأصحاب المنهج الإصلاحي لا يستعجلون النتيجة لأنهم يتعبدون بما يعملون، وهم يعلمون أن النتائج ليست عليهم وإنما هي محض فضل من الله وقد جعل له أسباباً بعضها يتعلق بأصحاب المنهج الإصلاحي وهي أن يقوموا بدورهم على أكمل وجه، وبعضها متعلق بالمجتمع نفسه هل استجاب وكثر الخير فيه فيستحق التغيير للإصلاح له أم لم يستجب فلا يستحق ذلك الفضل من الله؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

(هـ) الركن الرابع من أركان السياسة البناءة: إعمال قواعد الموازنات بين المصالح والفساد عند اتخاذ المواقف والقرارات:

- فقد تكون البدائل المطروحة للقرار كل منها يحقق مصلحة معينة فلو أمكن إيجاد قرار أو موقف يجمع كل المصالح فهذا من الذكاء والحكمة السياسية وإن لم يمكن الجمع

بين كل المصالح كان الواجب اختيار القرار الذي يحقق أعظم وأهم تلك المصالح وإن ضحى بالمصالح الأخر.

- وقد يكون لكل بديل من بدائل القرار مفسدة أو مفسد أو خسارة أو خسائر، فإن لم يستطع تجنب كل الخسائر تجنب أعظمها وإن وقع في أقلها مفسدة وهو هنا يدير الخسائر ويلزمه ذلك ليخرج بأقل الخسائر بدلاً من أن يفرض عليه أعظمها.

- وقد يكون لكل بديل من بدائل القرار مصالح ومفاسد فيجتهد متخذوا القرار من أصحاب المنهج الإصلاحي بعد جمع المعلومات واستكمال جوانب المشورة يجتهدوا أن يتخذوا القرار الذي يحقق أعظم المصالح ويتجنب أعظم المفاسد.

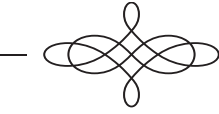
(و) المشاركة في البناء بعرض مقترحاتنا للبناء في كل المجالات والمشاركة في حل المشكلات التي تعترض المجتمع والمؤسسات وعدم التأخر في تقديم النصيحة الخالصة في تلك المشكلات والتي يكون لنا رؤية في حلها أو نستطيع أن نشارك بأنفسنا في حلها بدلاً من أن تكون مشاركاتنا دائماً (لا لا.. حرام حرام) لا بد أن نقدم المستطاع من البدائل الشرعية قدر الطاقة والاستطاعة، لا بد أن نكون شركاء في البناء على كل المستويات نربي كوادرننا على هذا ونحملهم المسؤولية الإصلاحية ومع الوقت والمشاركة الإيجابية يمكننا أن نبني كوادرننا وفي نفس الوقت نبني رؤية إصلاحية واقعية لإصلاح نظم الحياة في كل المجالات.

ومن سمات المنهج الإصلاحي المتعلق بالعمل السياسي أيضاً:

- ١- اعتماد سياسة الإصلاح التدريجي لا الصدامي مع المجتمع والمؤسسات.
- ٢- الوعي الكامل بحجم المخاطر التي تحيط بالمنطقة التي نعيش فيها والاطلاع بالدور المنوط بنا في العمل على حمايتها من تلك المخاطر.

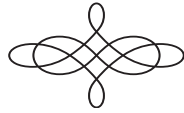
- ٣- العمل بكل ما أوتينا من قوة للحفاظ على استقرار أوطاننا ومنع انزلاقها في مستنقع الفوضى والحرب الأهلية باسم الدين.
- ٤- الحفاظ على الثوابت مع المرونة المبنية على قواعد السياسة الشرعية في التعامل مع الواقع.
- ٥- مزاحمة المبادئ السياسية الخطأ بالمبادئ الصحيحة، والعمل على الانتقال التدريجي للمبادئ الصحيحة من طور النظرية إلى طور التطبيق.
- ٦- تقديم الصالح العام على المصالح الخاصة الضيقة.
- ٧- المشاركة الإيجابية في البناء في كل المجالات وعلى كل المستويات.





الفصل الثاني

التحديات والمعوقات



الفصل الثاني

التحديات والمعوقات

إن دعاة الإصلاح على مر العصور تعترض طريقهم وطريق منهجهم الذي ارتضوه للإصلاح عقبات وتحديات تختلف في وسائلها وطرائقها مع اتحاد هدفها وهو قطع الطريق على المصلحين وتشويه منهجهم والطعن على أشخاصهم ونواياهم وأعمالهم وسوف نتناول في هذا الفصل إن شاء الله أهم العقبات والتحديات التي تعترض طريق المنهج الإصلاحي لتتناول في الفصل الثالث إن شاء الله وسائل تجاوزها أو العمل حتى مع وجودها.

إن المتأمل في الواقع اليوم لا يخفى عليه أن المنهج الإصلاحي السلفي يواجه تحديات وعقبات هائلة عالمية وإقليمية ومحلية وداخلية وسوف نتناول كلاً منها على حدة إن شاء الله.

أولاً: تحديات عالمية: وتتلخص فيما يسمى بصراع الحضارات؛ وهو التصور السائد عند كثير من محرّكي ومنظري السياسة العالمية «أن الصراع الأكبر سيكون صراع الثقافات أو الحضارات»، وأن الحضارة الإسلامية لكونها تستعصى على الذوبان في غيرها وتحمل في طياتها الممانعة من أن تستوعب من غيرها من الحضارات وتملك القدرة على المنافسة إذا أزيح الغبار عن وجهها الحقيقي المشرق الذي يحمل السعادة للبشرية كلها؛ لأنها لا تقوم على ساق واحدة كما هو الحال في الحضارة الغربية، وهي ساق المادة المتمثلة في القوة العسكرية والاقتصادية والشهوات البشرية، وإنما تقوم الحضارة الإسلامية على ساقين

«بناء العمران وبناء الإنسان»، فكثيرٌ من منظري السياسة العالمية يرون أن المنافس القوي للحضارة الغربية هو الحضارة الإسلامية؛ لذلك لا ينبغي أن يترك المجال لمن يعمل على إحيائها مرة أخرى ، بل لابد من استخدام جميع الوسائل للحيلولة دون ذلك.

يقول المستشرق (مرمادوك باكتول): «المسلمون يمكنهم أن ينشروا حضارتهم إلى العالم الآن وبنفس السرعة المذهلة.. شرط أن يعودوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها.. لأن الغرب الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم الهائلة..؟!»

يقول سالازار نائب وزير الخارجية الفرنسي : «إن الخطر الحقيقي الذي يهدد الغرب بشكل مباشر وعنيف هو الإسلام... فالمسلمون عالم مستقل ويملك تراث روحي وحضارة ذات أصالة.. ويجدر أن يقيموا قواعد لعالم مستقل دون الحاجة إلى الحضارة الغربية»، ويقول مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة (خليل زاد): «الحضارة الإسلامية لها قدرات خارقه ومميزات باهرة ويمكنها ابتلاع العالم وهذا هو المبشر الأمريكي (لورنس براون) يقول: «كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة ولكن تبين أن اليهود أصدقائنا والشيوعيين حلفاؤنا.. لكن الخطر الساحق موجود في الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته المدهشة..!!؟؟»

ويقول كسينجر لبيغن: «إنني أسلمك أمة نائمة أمة تنام ولكن مشكلتها أنها لا تموت استثمر ما استطعت نومها فإن استيقظت أعادت بسنوات ما أخذ منها بقرون».

يقول الرئيس الأمريكي الأسبق (رتشارد نيكسون): «إن دورنا المنوط بنا هو تأخير خروج المارد الإسلامي من قمقمه..؟»، ويقول سالازار نائب وزير الخارجية الفرنسي: «إذا تهيأت للمسلمين سُبُل الإنتاج الصناعي فإنهم سيتنقلون إلى العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين.. وسينتشرون في الأرض ليزيلوا قواعد الحضارة الغربية فيقذفون

برسالتها إلى متاحف التاريخ». يعود محدّرا الغرب فيقول: «إن العالم الاسلامي عملاق مقيد لم يكتشف نفسه بعد لذا يجب أن نعطيه ما يشاء ونُقوِّي في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي حتى لا ينهض.. لكن إذا عجزنا فقد أصبح العالم الغربي في خطر داهم وفقدنا وظيفتنا الحضارية كقائدة للعالم..!!»

يقول المفكر الأمريكي (ميرو بيرجر) في كتابه (العالم العربي المعاصر): «إن الخوف من العالم العربي ليس ناتجا عن وجود البترول لديهم بغزارة بل هو بسبب الإسلام فقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تتصاحب مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره»..

وقد أسفرت دراسات أصحاب فكرة صراع عن ترتيب المناهج والحركات التي لها انتشار في الأوساط الإسلامية على مستوى العالم من حيث عوامل القوة و عوامل الضعف المتعلقة بالإحياء الحضاري فوجدوا أن هناك منهجاً يحمل عوامل الإحياء الحضاري وبقوة وهو المنهج الإصلاحي الذي تبلورت معالمه في المنهج السلفي وقد تقدم في السمة الحادية عشرة ذكر عوامل الإحياء الحضاري في المنهج الإصلاحي السلفي، ولمواجهة هذا المنهج الإصلاحي سلكوا كل السبل لحصاره والتضييق عليه لكي يتمكنوا من القضاء عليه إن استطاعوا.

وكان من هذه السبل:

أولاً: الضغط على جميع الأنظمة للتضييق على هذا المنهج وحصاره، مستخدمين جميع أساليب الضغط الناعمة منها والخشنة وإن استدعى ذلك هدم دول هدموها ولم يتورعوا عن ذلك بل وإن استدعى إشعال حروب إبادة سارعوا إليها دون تردد.

ثانياً: دعم مناهج بديلة لا تحمل عوامل قوة الإحياء الحضاري.
ووجدوا أن هناك مناهج لها وجود وانتشار بالفعل على رأسها:

١- المنهج الخرافي السلبي بالنسبة للإحياء الحضاري وهو المنهج الذي يقوم على الخرافة ويؤصل لكون الإسلام مجرد علاقة روحية بين العبد وربّه وعلى الأكثر أخلاقية لكن لا شأن له بالحياة وهذا المنهج السلبي الخرافي مدعوم وبقوة من المنظومة العالمية وفي نفس الوقت تخصصت دولة بكل قوتها المادية ونفوذها الدبلوماسي في دعمه ونشره والترويج له.

٢- المنهج المفرغ المتصالح مع معطيات العلمانية: فمع أنه يقول إن الإسلام منهج حياة إلا أنك إذا فتشت في داخله لم تجد شيئاً لأنه خال من معيار فهم هذا الإسلام الذي هو منهج حياة (ذلك المعيار هو العمل بالكتاب والسنة بفهم أعلم الناس بالكتاب والسنة، القرون الخيرية)، وإذا فرغ من معيار الفهم سهل أن يحذف المحتوى ويستبدل بمحتوى آخر تماماً ولذلك فإن هذا المنهج يدجن فكرياً وعقدياً كل يوم على يد دعاة العلمانية حتى يصلح كنسخة وبديل إسلامي متصالح تماماً مع العلمانية ليس له من المشروع الحضاري الإسلامي إلا الاسم والاسم فقط تاركاً للعلمانية والعولة الساحة مفتوحة تماماً لتعيد صياغة العقول والقلوب فلا يوجد للحضارة الإسلامية الحقيقية بواك بل يصير أصحاب هذا المنهج المفرغ هم القوة الضاربة والمطرقة التي تستخدم لمنع أصحاب المنهج الإصلاحي والتضييق عليهم بل والقضاء عليهم بكل الوسائل.

٣- المنهج الصدامي الذي يستقطب من خلاله الكثير ممن عندهم الحماس والعاطفة ليستخدموا في الهدم بدلاً من أن يستثمرهم المنهج الإصلاحي للبناء، وقد قام محرّكو فكرة صراع الحضارات مستخدمين إمكاناتهم الهائلة من الإعلام وأنظمة الدول والضغط عليها للتضييق على المنهج الإصلاحي وتشويهه، وفي نفس الوقت دعم المناهج البديلة السلبي منها والمفرغ والصدامي لتكون تلك المناهج التي تحمل عوامل الضعف بالنسبة للإحياء الحضاري بديلاً عن المنهج الإصلاحي بل دفعوا خلف كل منهج من هذه المناهج بدولة ودول تدعمه بطريقة علنية أو غير علنية بل

وسلّطت وسائل الإعلام بكل صورها لتشويه وتشويه حملته وإثارة الشبهات ليل
نهار حول ثوابته.

وكل هذا يحمل في طياته تحديات كبيرة للمنهج الإصلاحي وحملته.

ثالثاً: العمل على إغراق شباب المسلمين في الشبهات والشهوات لتشكيكهم في
ثوابتهم وأصول دينهم وخلعهم منها من جهة وشغلهم بشهواتهم من الجهة الأخرى فلا
يكون لهم هم إلا شهواتهم وهذا الدور الخطير يقوم فيه الإعلام بالقصف من الجو لتقوم
الكثير من مؤسسات المجتمع المدني التابعة والممولة من الخارج بدور المهجوم البري.

رابعاً: صياغة إسلام جديد متصالح تماماً مع علمانية الحضارة الغربية وعرضه
بالقوة متذرعين بأخطاء من ينتسبون إلى الحركات الإسلامية.

هذا (ويسلي كلارك) قائد قوات حلف الناتو في آسيا وأوروبا يكشف السر الخفي
للحرب على الإسلام التي أعلنها بوش على العراق وأفغانستان يقول: «من يظن أننا
خرجنا إلى أفغانستان انتقاماً لأحداث ١١ أيلول فليصحح خطأه.. بل خرجنا لقضية
أخطر هي (الإسلام).. ولا نريد أن يبقى الإسلام مشروعاً حراً يقرر فيه المسلمون ما هو
الإسلام، بل نحن من نقرر لهم ما هو الإسلام».

ثانياً: تحديات إقليمية: وهي ناتجة عن أمرين:

الأمر الأول: الضغوط الناتجة عن التحديات العالمية.

الأمر الثاني: المشاريع الإقليمية؛ حيث توجد أربعة مشاريع تتبناها دول إقليمية
وتدعمها دول عالمية ولا يوجد مناوئ حقيقي واستراتيجي لتلك المشاريع أشد فاعلية
من المنهج الإصلاحي.

١، ٢- المشروع الصهيوني والمشروع الشيعي:

حين اتخذ القرار بإلغاء الخلافة العثمانية عملت القوى العالمية في ذلك الوقت على إحكام القبضة على قلب العالم الإسلامي وهو الوطن العربي والعمل على الحيلولة دون حدوث رد فعل يستعيد مرة أخرى التماسك الإسلامي العربي فتم تقسيم المنطقة على أساس «سايكس بيكو» وفي نفس الوقت زرع دولة كجسم غريب في المنطقة يتم رعايتها وتنمية قدراتها لتعمل كشرطي المنطقة وهي «إسرائيل» ثم تطور الأمر إلى إيجاد شرطي آخر بعد قيام الثورة الخمينية ودعمها من قبل الغرب، يقوم شرطي الثورة الخمينية بإثارة القلاقل في المنطقة وشغلها بنفسها واستنزاف قوتها حتى لا توجد فيها قوة لها قرارها ليتوسع الشرطي الأول تدريجياً على حساب الفراغات التي تخلفها الصراعات بين شرطي الخميني وبين الدول العربية ولما كان توسع الشرطي الأول بالتطبيع وتوسع الشرطي الثاني بالتشيع أو تصدير الثورة الشيعية، كان المنهج الإصلاحي السلفي هو الذي يحمل في طياته الممانعة الحقيقية لكل من التشيع والتطبيع لذا كان هو المنهج المستهدف من كل من الشرطين وبالتالي فإن هذا يحمل التحديات وعقبات أمام هذا المنهج الإصلاحي تضغط على الأنظمة ووسائل الإعلام وتستقطب النخبة لأخذ مواقف حادة تجاه هذا المنهج الإصلاحي وتسلط وسائل الإعلام لتشويهه والنيل منه.

٣، ٤، ٥- المنهج السلبي والمنهج المفرغ والمنهج الصدامي:

تقدم أن هناك مناهج بديلة للمنهج الإصلاحي يحرص النظام العالمي على دعمها ومن هذا الدعم الدفع بدول من دول المنطقة لتبني أصحاب هذه المناهج وتوفير الدعم لهم بكل صوره فهذه دولة تتبنى المنهج السلبي الخرافي وأخرى تدعم المنهج المفرغ المتصالح مع معطيات العلمانية، بل وتدعم المنهج الصدامي لتحقيق بعض

المصالح التي تصب في مصلحة المنهج المفرغ، وبهذا يضم الإقليم خمسة مشاريع تدعمها دول في الإقليم وخارجه:

- ١- مشروع المنهج الخرافي السلبي أصلاً تجاه الإحياء الحضاري.
- ٢- مشروع المنهج المفرغ المتصالح مع معطيات العلمانية.
- ٣- المشروع الصدامي.
- ٤- لمشروع الفارسي الشيعي.
- ٥- المشروع الصهيوني.

وكلها تعمل على إقصاء وحصار المنهج الإصلاحي السلفي لكن كل منها له طريقته الخاصة ودوافعه وكل منها له دول داعمة وفي نفس الوقت ضاغطة على بقية أنظمة الدول لحصار وإقصاء أصحاب المنهج الإصلاحي السلفي.

ثالثاً: تحديات محلية: وتتمثل في:

- ١- الآثار الناتجة عن الضغوط العالمية والإقليمية.
 - ٢- الآثار الناتجة عن الأخطاء التي وقع فيها الكثير من المنتسبين للحركة الإسلامية الحديثة منذ سقوط الخلافة الإسلامية إلى الآن.
 - ٣- التلبس الحاصل من نسبة كثير من الحركات المنحرفة إلى السلفية زوراً وهتافاً عمداً في كثير من الأحيان وجهلاً في بعضها (السلفية الجهادية - السلفية القطبية وغيرها).
 - ٤- التحدي الناتج عن الصراع الفكري بين الفصائل المنسوبة إلى الحركة الإسلامية.
 - ٥- التحدي الناتج عن اختلاف الإيدولوجيات.
 - ٦- التحدي الناتج عن الصراع الإصلاحي المصلحي.
- وقد تقدم الكلام عن التحدي الأول.

أما التحدي المحلي الثاني: الآثار الناتجة عن الأخطاء التي وقع فيها الكثير من المتسبين للحركة الإسلامية الحديثة منذ سقوط الخلافة الإسلامية إلى الآن، وهو من أخطر هذه التحديات وهو تلك الفكرة المغلوطة عن المنهج الإصلاحى بسبب تاريخ ومواقف المتسبين إلى الحركة الإسلامية.

فلو أن أحداً من خارج الحركة الإسلامية قرأ تاريخها يحدث عنده شك في وجود منهج إصلاحى حقيقى أو على الأقل يحتاج إلى جهود كبيرة لإثبات وجود ذلك المنهج الإصلاحى وهذه إطلالة سريعة على ما يمكن أن يراه القارئ لتاريخ الحركات الإسلامية.

١- بداية نشأة الحركات الإسلامية كان في ظل الاحتلال كرد فعل لإلغاء الخلافة العثمانية وضعف البلاد العربية وبعده المجتمعات عن تعاليم الإسلام وكان للنشأة في ظلال الاحتلال أثر في رسوخ ثلاثة أمور في العقل الباطن للكثير من أبناء الحركة الإسلامية وهي:

(أ) العداء لمؤسسات الدول التي يعيشون في ظلها؛ لأنها في ذلك الوقت كانت تمثل الاحتلال مما يغيب في شعورهم معنى الانتماء الوطنى.

(ب) القابلية للصدام مع المؤسسات.

(ج) اعتقاد أنه لا يمكن التغيير إلا من خلال هدم تلك المؤسسات والبناء بعدها. وقد ظهرت هذه الأمور الثلاثة في مواقف كثيرة مما رسخ في أذهان الكثيرين أنها من لوازم كل أبناء الحركة الإسلامية وفصائلها وأنها حتى لو بدأت بالإصلاح فإنها تنتهى بالسلاح.

٢- في البداية كانت توجد بعض الجمعيات التي حصرت الإصلاح في بعض صوره فتركت المجال واسعاً فملاؤه الأستاذ حسن البنا الذي كانت دعوته فى البداية إصلاحية

عامة تتحدث عن كل المجالات مما استقطب أعدادًا كبيرة من الشباب المتحمس، وظلت دعوة البناء إصلاحية في الثلاثينات إلى أوائل الأربعينات، حيث بدأ يظهر علامات الثورية الصدامية حين صرح الشيخ حسن البنا في المؤتمر العام الخامس للإخوان قائلًا: «سوف نستعمل القوة حين لا يجدي غيرها»، بالمناسبة هذه هي حجة شباب الإخوان الآن على قيادتهم يقولون هذه مقولة مؤسس الحركة سنستعمل القوة حين لا يجدي غيرها قالوا ولم تجدي الرؤية الإصلاحية دعوية كانت أو سياسية وذهبوا إلى أنه لا يجدي إلا القوة، ولم تجد القيادات لهم جوابًا مقنعًا.

٣- لنعود إلى الأربعينيات حيث أعلن الشيخ حسن البنا هذا وفي نفس الوقت كان قد اكتمل تشكيل التنظيم الخاص والذي استدرج إلى الصدام مما أدى إلى تعطيل العمل الإصلاحي وقتل مؤسس الحركة.

٤- بعد ثورة يوليو ومع أن جمال عبد الناصر كان أحد المبايعين للإخوان قبل الثورة وعرض على الإخوان المشاركة في الوزارة بثلاث وزراء وأن يترك لهم العمل الإصلاحي المجتمعي إلا أن العقلية الصفيرية في الإدارة التي هي فرع على الهدم ثم البناء منعهم من قبول الشراكة حتى تحول الأمر إلى صراع صفيري أدى إلى دخول الحركة الإسلامية والتي كان يمثلها في ذلك الوقت الإخوان في نفق مظلم وسجون ودماء وبطش وظلم وتعطلت الدعوة ما يزيد عن عشرين سنة.

٥- نشأ في ظل هذا الصراع الصفيري والفتن المترتبة عليه والبطش ببناء الحركة والظلم والقهر الذي تعرضوا له، نشأ فكر التكفير واستحلال الدماء وفكرة حمل السلاح بصورة أكثر دموية وصدامية حتى من التنظيم الخاص نفسه.

٦- بعد تولي السادات أخذ الجميع خطوة للخلف كان السادات حينئذ يحاول مواجهة الشيوعية فترك الحركة الإسلامية تدعوا وتنتشر وتمارس صورًا مختلفة من

العمل الإصلاحي لمدة ١٠ سنوات حدث فيها تغير إيجابي في المجتمع شهد به (جابر عصفور) -وزير الثقافة الأسبق- حين أراد أن يثبت -زورًا- أن الشعب المصري علماني بفطرته ودل على ذلك بأنه في عام ٦٩ لم يكن هناك غطاء رأس في الجامعة لكن حين جاء السادات وترك الحركة الإسلامية تعمل في الجامعات أحدثوا تغييرًا كبيرًا حتى قالوا إن الشعب المصري متدين بفطرته، بل ويدل على هذا التغير الإيجابي ما حدث من تعديلات دستورية في سنة ١٩٨٠م من إضافة «ال» الألف واللام إلى المادة الثانية استجابة للمطالب الشعبية، وحتى لو كان السادات قام بهذا التعديل ليحصل على تمديد لفترة الرئاسة إلا أن كونه يمررها من خلال التعديل الإيجابي للمادة الثانية يدل على أن الإرادة الشعبية كانت قوية وإيجابية لصالح المادة الثانية وتعديلها، بل يدل على هذا أيضًا «تقرير اللجنة التشريعية بالبرلمان المتعلق بإضافة الألف واللام للمادة الثانية. إذ جاء في تقريرها عن مقاصد تعديل الدستور بالنسبة للعبارة الأخيرة من المادة الثانية بأنها «تلزم المشرع بالالتجاء إلى أحكام الشريعة الإسلامية البحث عن بغيته فيها مع إلزامه بعدم الالتجاء إلى غيرها، فإذا لم يجد في الشريعة الإسلامية حكمًا صريحًا، فإن وسائل استنباط الأحكام من المصادر الاجتهادية في الشريعة الإسلامية تمكن المشرع من التوصل إلى الأحكام اللازمة والتي لا تخالف الأصول والمبادئ العامة للشريعة...»

وهذا يعني عدم جواز إصدار أي تشريع في المستقبل يخالف أحكام الشريعة الإسلامية، كما يعني ضرورة إعادة النظر في القوانين القائمة قبل العمل بدستور سنة ١٩٧١م وتعديلها بما يجعلها متفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية». واستطرد تقرير اللجنة إلى أن «الانتقال من النظام القانوني القائم حاليًا في مصر والذي يرجع إلى أكثر من مائة سنة إلى النظام القانوني الإسلامي المتكامل يقتضي الأناة والتدقيق العملي؛ حتى تجمع هذه القوانين متكاملة في إطار القرآن والسنة وأحكام المجتهدين من الأئمة والعلماء».

بل وبالفعل تم الشروع في تشكيل لجنة لصياغة كل القوانين المصرية لتكون مطابقة للشريعة الإسلامية ويدل على هذا أيضًا كلمات الأعضاء عند مناقشة التعديلات في الجلسة العامة إذ يقول بهذا والموافقة بالإجماع من الأعضاء توقيعاً بالاسم .

٧- وفي هذا الوقت تجتمع جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية ليتفقوا على قتل السادات.

وفكرة القتل تؤكد الأمور الثلاثة (العداء، والصدام، والهدم كشرط للبناء) بالإضافة إلى معنى آخر خطير وهو أن الإصلاح إن لم يكن على أيديهم فلا يسمى إصلاحًا ولذلك أغفلوا كل ما تم من تقدم نحو الإصلاح لأنه لم يكن تحت سلطانهم هم.

٨- قبل أن نتجاوز مرحلة ما قبل عام ٨٠ نذكر أن الحركة الإسلامية بدأت في الجامعات في بداية السبعينات تحت مسمى «الجماعة الإسلامية الطلابية» استمر العمل في كل الجامعات على نسق واحد تحت هذا المسمى إلى أن استطاع الإخوان بعد الخروج من السجون إعادة تنظيم صفوفهم واستقطبوا معظم قيادات الجماعة الإسلامية الشباب في الوجه البحري إلا مجموعة صغيرة تسمت في ذلك الوقت بـ«المدرسة السلفية» رفضت الانضواء تحت جماعة الإخوان، واستقلت الجماعة الإسلامية في الصعيد بنفسها ونشأت فكرة جماعة الجهاد التي قررت مع الجماعة الإسلامية في عام ٨٠ كما أسلفنا قتل السادات.

بدأت المدرسة السلفية في بداية السبعينيات (الدعوة السلفية فيما بعد) في بيان معالم المنهج الإصلاحي ومواجهة البدع والخرافات والانحرافات الفكرية والسلوكية وبيان مخاطر التكفير والصدام على البلاد والعباد وأن الإصلاح الحقيقي لا يمكن أن يكون من خلال العنف والدماء.

٩- وبعد مقتل السادات بدأت حقبة مبارك بالقبض على معظم نشطاء الحركة الإسلامية والتحفظ عليهم بالسجون لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً ففي عام ٨٣ فتحت معظم السجون وترك الشباب يخرجون بدون قيد أو شرط وكأنها رسالة بالرجوع خطوة للخلف وبداية مرحلة جديدة كما فعل السادات في بداية عهده لكن الهدوء لم يدم طويلاً إذ بدا الصدام مرة أخرى ولمدة ١٠ سنوات بين الجماعة الإسلامية والدولة قتل فيها ١٠٠٠ شخص واعتقل ٢٥٠٠٠ آخرين إلى أن جاءت المراجعات والتي استمرت أكثر من ١٠ سنوات أخرى.

بلا شك لا يمكن إغفال الأخطاء التي ارتكبتها الأنظمة في ذلك الوقت وقبله وبعده بل هناك في كثير من الأوقات أخطاء تقع من هذه الأنظمة أشد وأفج من أخطاء هؤلاء المنتسبين إلى الحركة الإسلامية.

لكنني هنا أرصد ما كان من المنتسبين إلى الحركة الإسلامية حتى لا يقع غيرهم في مثلها (حتى لو ارتكبت الأنظمة تلك الأخطاء فإن التعامل مع أخطائها ليس بالصدام الذي يؤدي إلى مزيد من المظالم والفساد) وهذا يعود بالضرر على الدعوة الإسلامية ككل بل يعود بالتشويه على الإسلام نفسه وهو من ذلك براء.

١٠- نعود إلى الثمانينيات حيث كانت جماعة الجهاد قد انفصلت عن الجماعة الإسلامية وانقسمت إلى قسمين:

قسم يتبع سيد إمام صاحب التنظير والتأصيل للعنف في كتابه العدة والذي تشكلت على أساس أفكاره مجموعات طلائع الفتح، والتي أقنعت في سنوات قليلة ألف شاب بتلك الأفكار القتالية الصدامية، ومن ثم قبض عليهم في أسبوع واحد في بداية التسعينات.

القسم الثاني من جماعة الجهاد أيمن الظواهري وأتباعه؛ خرج أيمن الظواهري وأتباعه وأنشأ هو وأسامه بن لادن وغيرهما تنظيم القاعدة الذي استعدى العالم كله على الإسلام والمسلمين حتى تسبب في هدم أفغانستان -وبمعنى أدق اتخذ ذريعة لهدمها- وقتل الآلاف وتعطيل الدعوة وتأخرها وكان مسوغاً لتخضير الحركة الإسلامية بكل أطرافها بل وتخطير الإسلام نفسه.

١١- كان من المتتمين إلى تنظيم القاعدة أبو مصعب الزرقاوي والذي سافر إلى العراق لينشئ فرعاً للتنظيم في العراق، وكان ممن انضم لهذا الفرع ضباط من مخابرات حزب البعث المنحل متظاهرين بالتوبة وأنهم يريدون نصره الدين -بزعمهم- والذين تدرجوا في التنظيم حتى تقدمت رتبهم ومواقعهم الإدارية فتخلصوا من القيادات المؤثرة في التنظيم وصارت القيادة الحقيقية في أيديهم ووضع على رأس التنظيم قيادات ضعيفة وتحركوا في اتجاه سوريا تحت مسمى ما يعرف بالدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» ولم يقاتلوا بشار وإنما قاتلوا من يقاتل بشار حيث ضربوهم من الخلف في المواقع التي يحدث فيها القتال مع بشار واحتلوا مواقعهم وقتلوا قياداتهم فصارت لهم بقعة واسعة من الأرض في سوريا إلى أن بدأت القبائل العربية السنية في العراق تنتفض ضد الميليشيات الشيعية التي يقودها المالكي للتطهير الطائفي وبدأت هذه القبائل في تنظيم صفوفها وتحقيق انتصارات على المالكي فاستدعى المالكي داعش لينهزم أمامها ويحقق لها انتصارات مزيفة تاركاً لها السلاح والمال الوفير في الموصل لتقوم هي بالقضاء على مقاومة القبائل السنية وفي هذا الوقت أعلنت داعش الخلافة الإسلامية لكي تحقق لأعداء الحضارة الإسلامية خمسة أمور:

• الأمر الأول: إيجاد حجة لقتل المقاومة السنية تحت دعوى رفضهم المبايعة للخليفة.

• **الأمر الثاني:** استقطاب أكبر قدر من الشباب المتحمس العاطفي ليدخل في صدام هدام يستخدم فيه هؤلاء الشباب لهدم دولهم وأوطانهم بدلاً من أن يستثمر حماسهم لصالح بناء أوطانهم والخدمة الحقيقية لدينهم من خلال المنهج الإصلاحي.

• **الأمر الثالث:** تشويه الإسلام والحضارة الإسلامية من خلال نشر تلك الفظائع التي تقوم بها داعش باسم الإسلام وباسم الخلافة الإسلامية.

• **الأمر الرابع:** إعادة تقسيم المنطقة من جديد (سايكس بيكو الجديدة).

• **الأمر الخامس:** اتخاذ المناطق التي يتمكن أتباع داعش من إعلان ما يسمى بولاية إسلامية تابعة لداعش اتخاذ هذا ذريعة للتدخل الدولي في المناطق المختلفة^(١)، والتي كان مرشحاً لها بعد سوريا والعراق وليبيا «سيناء» ونحن لا ننسى أبداً ذلك اليوم الذي حدث فيه أكثر من ١٠ تفجيرات في نفس الوقت وقامت قناة الجزيرة بتصوير تلك المشاهد ليعلن ما يعرف باسم «أنصار بيت المقدس» ما أسموه بولاية سيناء ولكن رد الله كيدهم ومكرهم إلا أنهم ما زالوا يحاولون.

١٢- في ظل هذا ظل أصحاب المنهج السلفي يصارعون منذ السبعينات ليثبتوا أن هناك مسلماً آخر ومنهجاً آخر هو المنهج الإصلاحي المتدرج من القاعدة لا الصدام ولا العنف منهج يحاول أن يثبت ذلك من خلال التأصيل العلمي والعمل الواقعي والمواقف الدالة على ذلك لكن الناظرين من خارج الحركة الإسلامية لتاريخها بالنسبة لهذا الفصيل على ثلاثة نظريات:

• نظرية تقول إن الحركة الإسلامية كلها شيء واحد وأن الأمر ما هو إلا تبادل أدوار، وهؤلاء لا يصدقون أن هناك فصيل إصلاحي اختار الإصلاح كخيار استراتيجي وليس تكتيكي.

(١) كنت كتبت هذا في وقت بدايات داعش، والآن وبعد أن خرجت داعش من الموصل والرقعة وغيرها تبين ما ذكرناه يومها وحذرنا منه، وإنا لله وإنا إليه راجعون، داعش كانت لعبة عالمية.

• **النظرية الثانية:** ترى أن هناك فعلاً فصيل إصلاحي يختلف عن غيره.

• **النظرية الثالثة:** نظرية المراقب الذي يراقب التصرفات والمواقف والتعليقات المختلفة حتى التي على وسائل التواصل الاجتماعي ليُكوّن رؤية هل فعلاً هناك فصيل إصلاحي أم لا؟

• وهذا بلا شك تحدٍ كبير أمام حملة المنهج الإصلاحي؛ ليشبتوا من خلال الواقع العملي أن الإصلاح خيار استراتيجي لهم وليس تكتيكي، وأن الموقف أو التعليق الذي يتحمل الأمرين إن حملة حامل على الاحتمال الأسوأ لم نستطع أن نخطئه؛ لأن التاريخ يشهد له.

التحدى المحلي الثالث: التلبس الحاصل بسبب نسبة كثير من الحركات المنحرفة إلى السلفية زوراً وبهتاناً عمداً في كثير من الأحيان وجهلاً في بعضها (السلفية الجهادية - السلفية القطبية وغيرها) وهذا الذي دأبت عليه المراكز البحثية الغربية والأجهزة الأمنية في كثير من الدول العربية وغيرها والعلمانيين بل والإخوان أيضاً.

التحدى المحلي الرابع: التحدي الناتج عن الصراع الفكري بين الفصائل المنسوبة إلى الحركة الإسلامية.

من أولى أولويات المنهج الإصلاحي الحفاظ على النقاء الفكري وتصحيح المفاهيم لأن كل انحراف عن ثوابت المنهج النقي للفكر الإسلامي الصحيح يقود إلى فتن ومحن وصراعات مدمرة.

• فالخوارج لم يكن لهم أن يصيروا خوارج إلا حين أسسوا تحركهم على أساس فكري منحرف عن الفكر النقي وأقنعوا أتباعهم به وعلى أساسه كفروا المسلمين واستباحوا دمائهم وأموالهم.

- والشيعية كذلك وغيرهم من أصحاب الأفكار المنحرفة.
- وفي واقعنا الحاضر هؤلاء الشباب الذين يفجرون ويقتلون ويخربون بلادهم ويشوهون صورة العمل الإسلامي بل ويشوهون صورة أمتهم ودينهم ويصدون عنه إنما أصل ذلك خلل فكري تم اللعب عليه وتزيينه للشباب حتى صاروا معاول هدم لبلادهم بدلاً من أن يكونوا لبنات بناء فالانحراف الفكري يؤدي بلا شك إلى انحراف سلوكي وأخطر ما يكون على استقرار الدول اهتزاز البنية التحتية الشبابية لها بالانحرافات الفكرية والسلوكية سواء كان بالتفريط والانحلال والإلحاد أو كان بالإفراط والغلو والتطرف.
- ولذلك فكل منهج إصلاحى لا يتبنى رؤية واضحة لحماية الشباب من الانحراف الفكري والسلوكي وفي نفس الوقت رؤية لتوجيه الطاقات الشبابية في الاتجاه الصحيح، اتجاه البناء والإصلاح التدريجي لا الصدامي، وكل منهج إصلاحى لا يمتلك الرؤية الواضحة في هذا هو منهج قاصر.
- وكل منهج يحمل وبجدية هذه الرؤية منهج أصحابه هم من أوائل المستهدفين في هذا التحدي.
- وهذا يفسر لك لماذا الدعوة السلفية وحزب النور مستهدفون من كلا الجانبين الجانب الإلحادي الداعي إلى التفريط والانحلال والجانب المغالي الداعي إلى العنف والتكفير.
- فقد وقفت الدعوة السلفية على مدى تاريخها مواقف واضحة في مواجهة الانحرافات الفكرية والسلوكية بما لا يدع مجالاً للشك في أن هذه الرؤية واضحة عند قادتها وأبنائها.

• ومن ذلك الموقف من الشكرين والتكفيريين في السبعينيات فقد قامت بإصدار مصنفات تؤصل للرد عليهم وتفنيد شبهاتهم وعمل مناظرات معهم وعمل دورات توعية للشباب لتحصينهم ضد تلك الأفكار والتحذير منها بين القواعد الشبابية والإجابة على تساؤلات الشباب.

• وكذلك الموقف من الجماعة الإسلامية في الثمانينيات والتسعينيات حيث أصدرت الدعوة السلفية عدة أبحاث ومصنفات لبيان صور الخلل في المنهج العنيف الذي كانت تنتهجه الجماعة الإسلامية في ذلك الوقت في التعامل مع قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدام مع المجتمع ومؤسسات الدولة وعقدت لذلك دورات للشباب على نطاق واسع ونشرت مواد مسجلة تؤصل للرد على الشبهات التي كانت تلقى على الشباب في ذلك الوقت حتى قامت الجماعة الإسلامية بعمل المراجعات التي رجعت في جملتها إلى ما كانت تؤصل له الدعوة السلفية من قبل.

• ومن المواقف الهامة للدعوة السلفية في هذا الشأن موقفها من وصف الشيخ سيد قطب للمجتمع بالجاهلية والذي تطور في كلام الشيخ محمد قطب إلى تقسيم المجتمع إلى ثلاثة أقسام: مسلمين بلا شبهة (وبتدقيق النظر في فكر القوم تجد أن المعنيين بهذا الوصف لا يخرجون عن إطار المتممين إلى الجماعات الإسلامية)، وكفار بلا شبهة (وبتدقيق النظر في فكر القوم تجد أن المعنيين عندهم بهذا الوصف هم المعارضون للجماعات الإسلامية خاصة من أجهزة الدولة)، وطبقة متميعة لا تشغل أنفسنا بالحكم عليها (وهم عامة الشعب).

• ثم تطور الأمر عند عبد المجيد الشاذلي في كتاب «حد الإسلام» إلى التوقف في الحكم بالإسلام لهذه الطبقة التي تمثل عامة الشعب حتى يأتوا بحد الإسلام المبتدع

الذي لم يقل به أحد قبل عبد المجيد الشاذلي، بل لو بحث عن تحققه في كثير من أتباع الشاذلي أنفسهم لوجد أن الكثير منهم لم يأت به حتى يحكم بإسلامهم فكيف بعامة المسلمين الذين لم يصلهم الخبر بعد أن شرط ثبوت الإسلام قد تطور على يد الشاذلي فلم يعد كما كان على عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين من بعدهم ومن تبعهم من علماء الأمة حتى جاء الشاذلي وطوره هذا التطوير الخطير الذي لا يعذر أحد بالجهل به به عند الشاذلي وأتباعه.

• وقفت الدعوة موقفاً واضحاً من كلام الشاذلي وأتباعه وكتابات الشيخ محمد قطب والشيخ سيد قطب في هذا الصدد فتم تناول الرد عليها وبيان خطورتها والخلل فيها في أبحاث تدرس للشباب والقواعد ومصنفات تنشر لتحذير طلبة العلم والدعاة ومحاضرات وخطب وندوات للعامة في ربوع مصر كلها وبالفعل صدق حدس علماء الدعوة السلفية في أن هذا الانحراف الفكري لابد أن يؤدي إلى انحراف سلوكي، فقد أصبحت هذه الكتابات التي تحتوى على تلك الانحرافات هي الملهم لكل جماعات التكفير والعنف في العالم بداية من القطبيين وجماعة التوقف والتبين والتكفيريين ومروراً بتنظيم الجهاد في مصر ثم تنظيم القاعدة إلى داعش وتنظيم بيت المقدس وغيرهم.

• ومن المواقف الواضحة للدعوة السلفية وكذلك حزب النور فيما يتعلق بهذا الشأن موقفهم من الصراع الذي دار بين جماعة الإخوان المسلمين وبين منافسيهم السياسيين وما ترتب على ذلك من أحداث.

• فقد حرص الإخوان وبكل السبل على تحويل التيار الإسلامي بأكمله خاصة المكون السلفي منه إلى المنهج العاطفي الصدامي؛ ليحصلوا من خلال الضغط بهم على مواقف تفاوضية أفضل.

• لكن موقف الدعوة السلفية حمى كثيرًا من الشباب من الانزلاق في هذه الفتنة ولذلك توجه إلى الدعوة سهام الإخوان وكل من تعاطف معهم حتى بعد أن تبين للجميع حقيقة مواقف الإخوان وخداعهم.

• **التحدي المحلي الخامس:** التحدي المتمثل في الصراع الإصلاحي المصلحي.

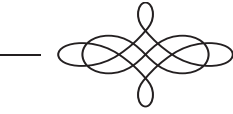
• فأصحاب المصالح لا يطبقون وجود أصحاب المنهج الإصلاحي لأنه يكشفهم ويظهر عوارهم.

• **التحدي المحلي السادس:** التحدي الناتج عن اختلاف الأيدولوجيات فالمنهج الإصلاحي بهذا التصور لا يروق لأصحاب الأيدولوجيات المختلفة كأصحاب الأيدولوجية اليسارية وأصحاب الأيدولوجية العلمانية مما يجعل أصحاب هذه الأيدولوجيات يعملون على حصاره وإقصائه مستخدمين في ذلك أدواتهم الإعلامية ونفوذهم السياسي والمالي وعلاقاتهم الدولية.

• وهناك معوقات داخلية داخل صفوف حملة المنهج الإصلاحي نفسه منها:

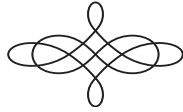
- ١- الضعف العلمي والفكري والتربوي عند الكثير ممن يحملون هذا المنهج.
- ٢- ضعف التصور الصحيح لمعالم وسمات المنهج الإصلاحي.
- ٣- الإحباط واليأس بسبب عدم فهم طبيعة المنهج الإصلاحي، وكذلك بسبب ارتفاع سقف الطموحات والأحلام التي فوجئ أصحابها بالواقع الذي يرونه على خلاف ما كانوا يتمنون.
- ٤- الكسل والتواني وعدم تحمل المسؤولية من البعض.
- ٥- ضعف الالتزام بالأداء المؤسسي الجماعي وغياب روح الفريق والمسؤولية الجماعية.
- ٦- انشغال البعض بأمور لا يحسنها كمن يظن نفسه محللاً سياسياً ويصدر اليأس والإحباط لإخوانه وهو لا يدري.





الفَصْلُ الثَّالِثُ

وسائل المنهج الإصلاحي



الفصل الثالث

وسائل المنهج الإصلاحي

وهي الأمور التي تلزم للاستمرار في الوجود للعمل بالمنهج الإصلاحي ونمو الكيان الذي يحمله بل والتأثير الإصلاحي الإيجابي في ظل التحديات والعقبات أو كيف يمكننا أن نعمل في ظل هذه التحديات والعقبات بما يضمن الاستمرار للعمل بالمنهج الإصلاحي ونموه وتأثيره؟

من أجل أن نتمكن من هذا لابد من العمل على إيجاد كوادرات تكون بمثابة الأعمدة يقوم عليها الكيان تثبت الأركان عند الفتن والزلازل كتلك الأعمدة التي ثبت الله بها المؤمنين مع طالوت ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مَّبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِطَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يُادِّنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فالعمل على إيجاد هذه الأعمدة الراسخة للكيان من أولى الأولويات، وفي نفس الوقت العمل على التواصل الإيجابي مع كل فئات وأطياف المجتمع وتوسيع دوائر القواسم المشتركة مع الجميع وصناعة التأثير على مستوى المجتمع والمؤسسات والنخبة لمنع انتقال هذه الحالة السياسية والمزاج السياسي الرافض لوجود حملة المنهج الإصلاحي أو القلق من وجودهم تلك الحالة الناتجة عن التحديات والعقبات العالمية والإقليمية والمحلية - منع تحولها إلى حلة مجتمعية أو مزاج مجتمعي رافض لوجود المنهج وحملته أو

قلق منه لأن هذا هو الخطر الحقيقي وهو الذي يسهل لمن أراد الإضرار بالمنهج وحملته ما يريد، وبدونه لا يصل إلى مبتغاه بإذن الله فالحاضنة المجتمعية الناتجة عن صناعة التأثير تحول دون ذلك إن شاء الله، قال الله **عَزَّوَجَلَّ** مبيناً ما كان من قول قوم شعيب له: ﴿وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْ لَّا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۚ﴾ [هود: ٩١].

إنما يتسنى هذا كله من خلال التركيز على عدة وسائل أو العمل على عدة محاور:

المحور الأول: على مستوى الأفراد.

المحور الثاني: على مستوى المنهج.

المحور الثالث: على مستوى الكيان.

المحور الرابع: على مستوى المجتمع والمؤسسات والنظم العامة للحياة (صناعة

التأثير).

أولاً: المحور الأول: على مستوى الأفراد والكوادر:

الاهتمام بالبناء الإيماني والتربوي والعلمي والفكري لأعمدة يقوم عليها العمل الإصلاحي وتدرّك الناس وتثبيتهم عند اشتداد الخطوب ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتنَةُ كَثِيرَةٍ يُؤْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿[البقرة: ٢٤٩]، ثبت الله القوم مع طالوت بهؤلاء الذين جعلوا الآخرة همهم، ونصب أعينهم، الذين لم يقعوا في اختبار شربة الماء الذين وطّأوا أنفسهم على الطاعة والعبادة والإخلاص والتقوى والعمل الصالح، هؤلاء هم أعمدة البنيان وهم الذين ينبغي التركيز على إيجادهم وتعاهدهم.

المحور الثاني: على مستوى المنهج :

فوضوح المنهج والثبات عليه والقدرة على الإقناع به من أهم العوامل التي تمكن أصحاب المنهج الإصلاحي من تجاوز العقبات والتحديات والاستمرار في الوجود بل والتأثير مهما كانت الظروف.

ولذلك لابد من العمل على:

- ١- إيجاد حملة للمنهج تمت تربيتهم عليه.
- ٢- فهم واضح لمعالم المنهج وسماته.
- ٣- القدرة على الإقناع بالمنهج وتسويقه.
- ٤- تحويل المنهج قدر الطاقة إلى واقع عملي وعدم الاقتصار على التنظير المجرد له فقط.
- ٥- التعامل بمقتضي هذا المنهج مع كل الفئات وعلى كل المستويات المتاحة والمستطاعة والعمل على تحصيل القدرة على غير المستطاعة.

فهذا المحور والذي قبله يتطلب بناء الكوادر الإيجابية التي تحمل المنهج الإصلاحي علماً وعملاً وفهماً وسلوكاً وتحسن طرحه وعرضه والإقناع به والدفاع عنه والتأثير به وذلك بالاهتمام بالأفراد والعمل على بنائهم علمياً وفكرياً وتربوياً وتربيتهم على التطبيق العملي للمنهج لصناعة تلك النفوس الكبار التي لا تستفزها الضغوط ولا تحبطها العقبات ولا تعوقها المعوقات عن تلك المسيرة الإصلاحية الخالدة.

المحور الثالث: على مستوى الكيان: ونعني به:

- ١- الكيان المؤسسي الذي يتخذ قراراته ومواقفه من خلال تفعيل مبدأ الشورى.
- ٢- ويلتزم أفرادها بتلك القرارات ليكون القرار أكثر تأثيراً وفاعلية.
- ٣- الكيان الذي تسوده روح الفريق والتعاون على البر والتقوى.

٤- الكيان الذي يوظف طاقات كوادره وغيرهم في جميع المجالات المتاحة للعمل الإصلاحي، للعمل على صناعة التأثير الذي هو البذور الحقيقية لأشجار التغيير التي ستثمر يوماً - إن شاء الله - التغيير الإصلاحي الحقيقي.

٥- الكيان الذي يعمل على تحقيق فروض الكفايات المستطاعة والاجتهاد في تحصيل القدرة على فروض الكفايات غير المستطاعة، وفي كل المجالات دون تفريق بين مجال ومجال، مع ترتيب الأولويات حسب الواجب واللا واجب والمستطاع وغير المستطاع، بحيث يوظف كل الطاقات الممكنة التوظيف الأمثل في كل مجال متاح ومستطاع.

المحور الرابع: على مستوى المجتمع والمؤسسات والنظم العامة للحياة (صناعة التأثير):

وسوف نتناول هذا العامل الرابع بنوع من التفصيل والبيان: وذلك من خلال النقاط الآتية:

- ١- المقصود بصناعة التأثير.
- ٢- علاقة صناعة التأثير بالإصلاح المنشود.
- ٣- وسائل التأثير.
- ٤- أمثلة عملية لصناعة التأثير تبين المقصود منه.
- ٥- صناعة الإيجابية في الكوادر والكيان.
- ٦- التأثير بالنماذج.

أولاً: المقصود بصناعة التأثير:

تفعيل كل الموارد والطاقات - خاصة الطاقات المهذرة - للقيام بدورها الإصلاحي في كل المسارات الإصلاحية المتاحة والممكنة.

والتواصل الإيجابي مع جميع أطراف المجتمع وفئاته وتوسيع القواسم المشتركة مع الجميع والتعبير العملي الواقعي عن المنهج الإصلاحي، ليحصل التواصل المباشر بين حملة المنهج وبين كل أطباق المجتمع ليسهل عرض المنهج بلسان الحال والمقال وصناعة التأثير الإيجابي به في كل الأحوال.

ثانيًا: علاقة صناعة التأثير بمراتب الإصلاح:

مراتب الإصلاح ثلاثة:

(أ) الإعذار. (ب) التأثير. (ج) التغيير.

فمن المعلوم أن التدافع بين النماذج المتعارضة أو المتنافسة في أرض الواقع يمر بثلاثة مراتب:

• مرتبة الإعذار. • مرتبة التأثير. • مرتبة التغيير.

ويمكن تطبيق هذه المراتب على النمو التدريجي لحركة أي فكرة في أرض الواقع ومن أوضح الأمثلة على ذلك أكبر الدعوات الإصلاحية وهي دعوة الأنبياء.

تبدأ بالإعذار: وهي أن يقول فلا يجد من يسمع بل يجد من يصم الآذان ويغمض الأعين لا يريد أن يسمع أو يرى لكن هذا لم يكن حائلًا بين أصحاب الدعوات الإصلاحية وبين الإستمرار والمضي قديمًا في دعواتهم فهذا نوح عليه السلام ظل ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو بكل وسيلة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ۖ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِيْٓ أَذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۖ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۖ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَّ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا ۖ﴾ [نوح] إلى آخر الآيات.

ومرتبة الإعذار هي مرتبة النجاة ولا بد من المرور بها للدخول إلى مرتبة التأثير قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَىٰ رَبِّكُمُ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤] فجمع بين الإعذار وبين لعلمهم يتقون أي: لعلمهم أن يتأثروا فيحدث التغيير بأن يتغيروا.

وفي الآية التي بعدها قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ فكان الإعذار سبباً للنجاة.

مرتبة التأثير: وهي أخصب وأوسع وأهم مرتبة، وهي مرتبة على مرتبة الأعذار، فمرتبة الأعذار بمثابة بذر البذور، ومرتبة التأثير سقيها وتنميتها، ومرتبة التغيير هي ثمرة هذه الأشجار، فأصحاب المنهج الإصلاحي ينشرون هذه البذور «بذور التأثير» في كل المجالات وعلى كل الأصعدة وفي جميع الأحوال والأوقات والأماكن قدر طاقتهم وحسب استطاعتهم بما يتناسب مع واقعهم وهم يعلمون أن هذا هو واجبهم وليس عليهم النتائج ولا متى تنضج الأشجار وتثمر إلا أنهم يتعهدون تلك الأشجار «أشجار التأثير» ليلاً ونهاراً في حلهم وترحالهم وشدتهم ورخائهم وفرحهم وحزنهم وغناهم وفقرهم وفي كل أحوالهم فهذه وظيفة أعمارهم ولا عليهم إن رحلوا عن هذه الحياة ولم يروا ثمراتها لأن الثمرة وهي المرتبة الثالثة (مرتبة التغيير «التغيير الإصلاحي المنشود») لا يعلم متى تأتي إلا الله، ولها سننها الخاصة فلا يصيبهم الإحباط إذا لم يجدوا الثمرة وليس عندهم الاستعجال بظهورها فضلاً عن قطفها.

ثالثاً: وسائل التأثير:

- ١- التأثير بالثبات على المبادئ والتمسك بالأخلاق العالية.
- ٢- التأثير بالنماذج المؤثرة التي تحسن التعبير عن المنهج بالسلوك والعمل.
- ٣- التأثير ببيان حقيقة المنهج وسمو غاياته ووسائله.
- ٤- التأثير بتماسك الكيان وقوته وروح الفريق والعمل المؤسسي.
- ٥- التأثير بالاستمرار على العمل تحت الضغط وفي كل الظروف.
- ٦- التأثير بإيجاد بدائل وفتح مجالات إصلاحية جديدة فكلما ضاقت قناة فتحت قنوات أوسع.
- ٧- التأثير بتفعيل كل الكوادر خاصة المعطلة منها في المجالات المختلفة للتواصل مع كل فئات المجتمع وصناعة قيادات فتوية تعبر عن المنهج الإصلاحي تعبيراً عملياً وثبتت فاعليته في الإصلاح في كل المجالات.
- ٨- التأثير بتوسيع دوائر القواسم المشتركة مع كل فئات المجتمع وأطيافه.
- ٩- التأثير بالمشاركة الإيجابية في التعامل مع المواقف والأحداث على مستوى المجتمع والمؤسسات وإثبات أن هذا منهج إيجابي واقعي لا انعزالي خيالي.

رابعاً: أمثلة عملية لصناعة التأثير تبين المقصود منه:

نضرب أمثلة لبذور التأثير ونمو أشجاره على يد كبار المصلحين من الأنبياء وأتباعهم؛ وسوف نتبع فقط مسيرة التأثير في قصص «نبي الله يوسف - نبي الله موسى - غلام الأخدود».

أولاً: مسيرة التأثير في قصة نبي الله يوسف:

• كان ابتلاء الله لنبيه يوسف عليه السلام منذ صغره بحسد إخوته له والقائهم إياه في غيابة الحب وحيداً إلى أن جاء التجار فحملوه سلعة تباع فاشتراه العزيز وتربى في بيته.

• ثم يأتي الابتلاء الآخر الكبير بأن تراوده -وهو شاب يافع- امرأة ذات منصب وجمال فيقول: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣] وهنا بدأ التأثير «التأثير بالخلق والعفة» فسبقته واشتكت فما زاد عن قوله: ﴿هِيَ زَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦] ليغرس بذرة من بذور التأثير جاء نموها وانتشار خبرها في ثوب ابتلاء إذ علم نساء المدينة واجتمعن ليقطعن أيديهن وتنطق المرأة بكل بجاجة ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُهُ لَسَجَنَ وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾، وهذا ابتلاء بلا شك لكن صنع تأثيراً كبيراً ستظهر ثماره الهائلة فيما بعد وليس ليوسف عَلَيْهِ السَّلَام يد في هذا الانتشار الواسع إلا صبره على الابتلاء وإلا موقف العفة الأول الذي كان البذرة الأولى لهذا التأثير الذي انتشر في المدينة كلها أن هناك شاباً عفيفاً امتنع عن امرأة ذات منصب وجمال وهذا بلا شك له ما بعده، وهذا يدل على أن الابتلاء لأصحاب المنهج الإصلاحي يمكن أن يكون من أكثر ما يؤدي إلى انتشار تأثيرهم والذي هو السبيل إلى التغيير فيما بعد.

• ضاق نبي الله يوسف ذرعاً بما حدث واختار السجن على هذا البلاء خشية أن يجبر على الوقوع في تلك الفتنة المدمرة: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

• لتبدأ مرحلة أخرى من مراحل التأثير وكان لها ما بعدها أيضاً في حدوث التغيير فحين دخل السجن وهو شاب مظلوم مقهور متهم في شرفه ظلماً سُجِنَ لعفته وأوذى لا متناعه عن الخيانة لم ينزو ويسكن سكون المحيطين وإنما بمجرد دخوله السجن حوّل واقع السجن إلى شيء آخر ليصنع التأثير من خلال العلاقات الإنسانية والاجتماعية فما كان يجد مريضاً إلا طيبه ولا مهموماً حزينا إلا سرى عنه ولا صاحب حاجة إلا اجتهد وتعاون مع غيره في قضائها حتى نطقت ألسنتهم: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]، واستعان بالإضافة إلى هذا التأثير بما وهبه الله عَزَّوَجَلَّ من تعبير الرؤى في بث فكرته ودعوته واستثمر

ذلك التأثير قدر طاقته بحكمة وذكاء حين حانت له الفرصة والوقت المناسب ﴿يَصَدِّجِي
السِّجْنَ ۖ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

• خرج صاحب السجن ونسي ما كان من أمر يوسف سنين لتأتي لحظة تنمو فيها
بذرة التأثير الكامنة داخل هذا الرجل حين رأى الملك رؤيا.

• من الذي قدر أن يرى الملك الرؤيا في ذلك الوقت؟ ومن الذي قدر أن يمتنع
حاشية الملك من مدعي العلم عن تأويل تلك الرؤيا؟ ومن الذي قدر أن يسمع صاحب
السجن رؤيا الملك فيتذكر صاحب السجن يوسف عليه السلام إنه الله الذي قدر ذلك كله
في موعده المحدد، قال صاحب السجن: ﴿أَنَا أُنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ۖ فَأَرْسِلُونِي﴾ [يوسف: ٤٥]
فدخل على يوسف في سجنه وقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ
يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ۖ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ
(٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصَرُونَ﴾ [يوسف] لم يعاتبه يوسف على نسيانه هذه
السنين، ولم يقل له هل كلمت الملك عني أم لا؟ وإنما شرع في الجواب مباشرة والعجيب
أن التأثير هذه المرة يعبر عن نفس كبيرة عظيمة نفس ظلمت أشد الظلم من مجتمع تشيع
فيه الفاحشة بل ويُعبدُ فيه الملك على قول كثير من المفسرين، وقد حلَّ بهذا المجتمع
أو أوشك أن يحلَّ عقاب أليم من القحط والشدة فلم يفرح بذلك نبي الله يوسف لأن
هذا المجتمع هو رأس مال دعوته الإصلاحية، وهو البيئة التي سيغرس فيها منهجه
الإصلاحي الذي لا يستعجل هو ثماره فما كان من نبي الله يوسف عليه السلام إلا أن اقترح
خطة إصلاح اقتصادي مدتها خمسة عشر عامًا دون قيد أو شرط؛ لم يوقع تحتها باسمه ولم

يشترط الخروج مقابلها لأنه يهدف إلى تأثير عظيم هو لا يدري متى سيثمر لكنه يوقن أن هذا التأثير ستكون له ثمرة في يوم من الأيام فلم يقصر الثمرة على فائدة شخصية تخصه كأن يخرج من السجن مثلاً أو أن يكون له ميزات خاصة وإنما بذل الخطة بدون قيد أو شرط ليغلق عليه السجن مرة أخرى ويذهب صاحب السجن بالخطة إلى الملك الذي ما إن رأى الخطة الاقتصادية التي أتته من سجين لم يطلب الخروج حتى؛ حينها بلغ التأثير مداه ولم يستطع الملك أن يدفع اندهاشه بتلك النفسية الكبيرة لم يمنعه كون ذلك الرجل في السجن أن يقول: ﴿أَتُونِي بِهِ﴾ [يوسف: ٥٠].

• ليعود صاحب السجن مرة أخرى إلى يوسف ليزف البشرى، الملك يريدك ستخرج من السجن فما اهتزت لصاحب النفس الكبيرة شعرة، بل استقبل الأمر بكل بساطة لم يته فرحاً أن جاءه ذلك الخبر بل إنه يهدف إلى غرس مزيد من بذور التأثير وفي نفس الوقت يتخلص من بعض الشوائب التي قد تحول بينه وبين التأثير الأكبر (الإصلاح العقدي الدعوي بعد ذلك) تلك الشائبة هي شائعة التهمة القديمة فقال: ﴿أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ كان مقصوده إزالة التهمة بتلك الطريقة الحكيمة فلم يذكر التهمة ولم يذكر الطرف الآخر فيها حتى لا تحدث تداخلات أخرى بدس أو كيد من أطراف ذوي مصلحة كحاشية العزيز أو بطانة امرأته، فقال: «ارجع فاسأل لماذا قطع النسوة أيديهم فقط؛ فإذا سألهن فإنهن سينطقن بالشهادة القاطعة التي تبرئ يوسف فرجع صاحب السجن فلم تمهل امرأة العزيز ولم تنتظر شهادة النسوة بل قالت: ﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

• ليلعب التأثير مداه عند الملك نفسه فيقول ائتوني به استخلصه لنفسي ليكون المستشار الأول.

• ليأتي نبي الله يوسف إلى الملك فيختار الموقع ذا الصلة بالتأثير الأكبر وهو أن يكون على خزائن الأرض؛ فمستشار الملك علاقته المباشرة بالملك لا بالناس والمؤسسات والمجتمع، أما من هو على خزائن الأرض فهو على صلة مباشرة بالجميع وفي نفس الوقت بالملك وهذا بلا شك أوسع تأثيراً فقال: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ ولم يقل: اجعل لي صومعة أتعبد فيها أو داراً أدعو الناس فيها وإنما قال: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. لأنه يقصد إلى توسيع دائرة التأثير أكثر وأكثر ليصنع منابر دعوية مختلفة تبدأ بالتأثير لشمر التغيير.

• وحين تولّى خزائن الأرض ضرب أعظم المثل في اتقان العمل وحسن إدارته وتنظيمه وحسن المعاملة مع الناس حتى قالوا ما قيل له في السجن: ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ لتكون النتيجة الكبرى والتغيير الإصلاحي المنشود أن قاد الناس ومارس الإصلاح الكبير وهو إصلاح العقائد.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠]

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

نبي الله موسى عليه السلام؛

• بدأت مسيرة التأثير الكبرى حين جاء موسى عليه السلام إلى فرعون بمعجزتين «معجزة اليد، ومعجزة العصا» فزعم فرعون أن هذا سحر وقال لا تينك بسحر مثله، وتواعد مع موسى عليه السلام على يوم الزينة ليحشر الناس ضحى، اجتمع الناس وجاء

ثمانون ألف ساحر إلا أن السحرة آمنوا حين رأوا المعجزة لكن فرعون تدارك الأمر فقتلهم جميعاً قبل أن يكون لهم تأثير فهم حتى لحظة ماضية كانوا سحرته فقتله لهم لن تكون تكلفته كبيرة كما لو تركهم بعد ذلك ليكون لهم تأثير ولم يقتل موسى لأنه أصبح صاحب تأثير وانتشر أمره بذلك اليوم انتشاراً كبيراً ليكون حديث الناس بعد ذلك وينمو تأثيره.

• ظل موسى عليه السلام في بني إسرائيل، هؤلاء القوم الذين كانوا قد استسلموا للذلة والمهانة ونسوا أنهم أمة لها حقوقها ومقوماتها فكانت مهمة موسى عليه السلام إحياء هذه الأمة من جديد وبث روح العزة فيها مرة أخرى، والعمل على إعادة ترابطها وتماسكها الذي بدونه لن تستطيع أن تحدث أمراً مؤثراً أو أن تخطوا خطوة إلى الأمام لاستعادة وجودها وحقوقها.

• ظل موسى في ظل قهر وبطش فرعون وترصد الملاء من قومه يعمل عملاً دؤوباً هو وأخوه بتكليف من الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وكانت هذه هي مرحلة البناء التي استلزمت عملاً وجهوداً جماعية ليتمكن من خلاصها من إعادة ترتيب صفوف قومه والتواصل معهم في ربوع مصر لبث الروح في كل الأفراد من أجل أن يجمعهم عمل واحد في وقت واحد في لحظة واحدة.

• شعر الملاء من قوم فرعون بخطورة العمل الدعوي والاجتماعي والتربوي الذي يقوم به موسى عليه السلام في بني إسرائيل فقالوا لفرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ولم يقل سنقتل موسى أو سنقتل رجال قومه وذلك أنهم صار لهم التأثير الذي يجعله يفكر ألف مرة قبل أن يقدم على خطوة كهذه إنما قال سنقتل أبنائهم ونستحي نساءهم وهو التضيق والإنهاك والإزعاج الذي لا يقدر فرعون مع جبروته على غيره

فمنعه التأثير الناتج عن العمل الدؤوب المتواصل بالليل والنهار من هؤلاء المصلحين فكان التأثير الناتج عن هذا العمل سبباً في حمايتهم وحماية مناهجهم واستمراره وقبل كل هذا ما ينشره الرب سبحانه من الرحمة بأوليائه والحماية لهم فاستمر العمل من موسى وأخيه في قومهما إلى أن جاء أمر الله **عَزَّجَلَّ** بخروج بني إسرائيل في ليلة واحدة في لحظة واحدة ستائة ألف وهذا يدل على شدة التواصل والعمل الجماعي المؤسسي الذي أثمر تلك النتيجة القوية التي فوجئ بها فرعون.

غلام أصحاب الاخدود ورحلة التأثير التي قادت إلى التغيير:

- بدأت رحلة التأثير في قصة الغلام بموقف قدرتي بحث حين فقد الغلام طريقه إلى الساحر فمرَّ من طريق الراهب ذلك الراهب الفار بدينه من ملك يدعي الربوبية ويستعين بالساحر لتثبيت دعواه حين رأى الراهب الغلام لم يمنعه صغر سن الغلام وقلة حيلته من أن يلقي عليه بذور التأثير فكلّمه في توحيد الله **عَزَّجَلَّ** ويبيّن له ضلال قول الساحر.
- ظل تأثير قول الراهب ينمو في قلب الغلام إلى أن قدّر الله أمر الدّابة التي منعت الناس من طريقهم ليرميها الغلام بحجر باسم الله ليثمر ذلك اليقين في قلب الغلام ويرسخ إيمانه.
- يستخدم الغلام نعمة أنعمها الله عليه وهي شفاء المرضى «الطب» لنشر بذور التأثير في المجتمع ليصل التأثير إلى جليس الملك الذي كان قد عمي فيأتيه بهدايا كبيرة فيقول كل هذا لك إن أنت شفيتني فيسمعه الغلام ما لا يتوقعه: «أنا لا أشفي أحداً الشافي هو الله» أنا لا أقبل الهدايا فقط تؤمن بالله فأدعو الله لك فيشفيك كانت النتيجة أن بلغ التأثير مداه عند ذلك الجليس ليعود إلى الملك بروح الواثق المؤمن ليعذبه الملك حتى يدل على الغلام الذي دلّ بدوره تحت التعذيب على الراهب ليشق الراهب وجليس

الملك نصفين أمام الغلام لكن الغلام قد بلغ تأثيره في الناس مبلغاً جعل الملك يفكر ألف مرة قبل قتله لأن تكلفة قتله كبيرة وذلك بسبب أثره وحتى لو كان سيقتله فلا ينبغي أن يقتل في حضرة الملك وإنما يقتل بعيداً عنه وبطريقة يمكن التملص منها: وقع من فوق الجبل فمات أو غرقت به السفينة فمات.

• إلا أن هذه الأمور تعود كلها بزيادة تأثير الغلام وانتشار خبره ليصير حديث الناس ثم يأتي الاتفاق بين الغلام وبين الملك «اتفاق أعمى الله فيه بصيرة الملك ليظن أنه سيتخلص من الغلام لكن الأمر كان بالعكس».

فإن مقصود الغلام الأكبر هو إصلاح عقائد الناس وتحريرهم من عبادة الملك. فقال للملك: «إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به... تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني ثم تأخذ سهماً من كنائني ثم ترميني به فأموت».

وبكل غباء نفذ الملك، فجمع الناس في صعيد واحد وأخذ السهم وقال باسم الله رب الغلام فمات الغلام، وهنا بلغ التأثير مداه ليثمر التغيير «آمن الناس برب الغلام» ذلك التغيير الإصلاحي الذي لم يره الغلام فليست قضية الغلام أن يرى التغيير وإنما قضيته أن يمارس دوره في الإعذار والتأثير.

مرتبة التغيير:

التغيير منه ما هو جزئي ومنه ما هو عام. فالجزئي هو ما كان متعلقاً بقضية إصلاحية واحدة أو عدة قضايا يحدث الإعذار في شأنها ثم التأثير ثم التغيير بأن تحدث القناعة المجتمعية بها، مثال ذلك عادة سيئة تكون هي الغالبة على المجتمع فيحدث الإعذار في شأنها بأن يقوم بعض المصلحين ببيان خطرها لكن لا يجد من يسمع، ومع استمرار التذكير يبدأ التأثير وينمو شيئاً فشيئاً حتى

يحدث التغيير الذي هو محض فضل من الله **عَزَّوَجَلَّ**، ومن التغيير الجزئي أيضاً التغيير على مستوى فرد أو أفراد ممن يقتنع بالمنهج الإصلاحي وينضم إلى جموع المصلحين.

أما التغيير على المستوى العام المتعلق بعموم المجتمع وعموم قضايا الإصلاح فهو وإن كان ثمرة الإعذار والتأثير إلا أنه محض فضل من الله **عَزَّوَجَلَّ** على المجتمع ككل وليس على أصحاب المنهج الإصلاحي فقط؛ فقد يبذل أصحاب المنهج الإصلاحي كل ما يستطيعون ولا يحدث التغيير لأن المجتمع لم يتحقق فيه ما يستحق به التغيير.

قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فهذه سنة التغيير الكبرى فإن لم يستحق المجتمع التغيير فلن يحدث له التغيير؛ فهذا نبي الله موسى حين وصل بقومه إلى مشارف الأرض المقدسة قال لقومه: ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، قالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا، وهنا كتب الله عليهم التيه فلم يتركهم موسى ويفارقهم بل ظل يمارس دوره الإصلاحي لينشأ جيلاً جديداً مستحقاً للتغيير وكانت البداية بيوشع بن نون الذي قاد الأمة إلى التغيير بعد ذلك.

فعلى أصحاب المنهج الإصلاحي أن يعملوا ويواصلوا الليل والنهار بالعمل لصناعة التأثير ثم لا يستعجلوا النتائج وليتأكدوا أن كل حركة يقوم بها أحدهم تصب في نهر التأثير الذي سيثمر التغيير في يوم من الأيام.

خامساً: صناعة الإيجابية وعلاقتها بصناعة التأثير؛

لابد من إحياء الروح الإيجابية في الكوادر والكيان المؤسسي:

الإيجابية: هي التفاعل البناء مع الأحداث تفاعلاً يؤثر في سيرها وعدم الاستسلام للواقع مهما كانت العوائق.

وهي سمة إسلامية أصلية، وشيعة رفيعة، وميزة من أهم مزايا هذه الأمة، فهذه الأمة هي المأمورة بعمارة الأرض علي الحقيقة، والعمارة للأرض لا تستكمل إلا بالإيجابية على مستوى الأفراد وعلى مستوى الكيانات.

القرآن يتحدث عن الإيجابية ويحض عليها ويزجر عن السلبية:

فقد أخبر الله ﷻ في كتابه أنه ما خلق الناس إلا لغاية عظيمة وهي عبادته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالعبادة ليست قاصرة على الصلاة والصيام والزكاة والحج فقط بل العبادة (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة).

فالإنسان مخلوق لتكون كل حياته عمل، يجعل كل أنفاسه أداء وهذه هي الإيجابية فلا يترك لحظة إلا وسأل نفسه، كيف أجعل هذه اللحظة عبادة.

وقد أنكر الله ﷻ على الذين يقولون ولا يعملون فقال: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [٢] كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف].

وقد فرق القرآن بين الإيجابي الذي يعمل ويتحرك وبين العاجز فقال ﷻ: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٧٥] وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل].

ووعد الله ﷻ بالأجر الحسن علي العمل الإيجابي ولو كان مثقال ذرة والعكس بالعكس فقال ﷻ: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [٧] وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

وبين سبحانه وتعالى أن عمل الخيرات وإسداء النصح والمعروف للناس والقيام باحتياجاتهم أو على الأقل الأمر بذلك والتواصي به من أعظم القربات فقال عز وجل: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مَنْ نَجَوْنَهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

وقد ضرب القرآن أمثلة كثيرة للإيجابية:

- ١- إيجابية القول والنصح وإن لم يجد من يسمع له: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّمُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤].
- ٢- إيجابية الجن: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩].
- ٣- إيجابية الهدد: ﴿ وَتَقَعْدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٠].
- ٤- إيجابية النمل: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨].
- ٥- إيجابية مؤمن آل ياسين: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوسَىٰ ابْنُ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠].

علم الله موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الإيجابية بفعل المستطاع وإن لم يكن ذلك المستطاع بالحسابات المادية مناسبة للنتيجة ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣].

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

وكذلك علم مريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ** الإيجابية وأمرها بها ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥].

وجعل السلبية خشية الفتنة هي الفتنة بعينها ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَكْفُرُ أَتَذِّنُ لِي وَلَا نَفْتِنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٩].
وذم ذمًا شديدًا اليأس والإحباط والسلبية ﴿ يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوَسَّفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

الإيجابية في السنة المطهرة:

كل حياة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأوامره كلها تنطق بالإيجابية حتى قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أصدق الأسماء همam وحات»؛ لأن الأول بمعنى فعال، والثاني بمعنى كاسب.

وحض الشرع على أن يكون الإنسان أول الإيجابيين ووصف الإيجابي الأول في كل عمل أو الداعي إليه بأنه يسن في الإسلام سنة حسنة فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وقال: «من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً».

وحض على الإيجابية ولو لم يستطع أن يفعل إلا أقل القليل.

قال **صلى الله عليه وسلم**: «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

وقال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».

وقال: «سبق درهم مائة ألف درهم» وعن أبي هريرة، أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، قال: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخذه فشكر الله له فغفر له» [رواه مسلم].

وحض النبي **صلى الله عليه وسلم** على الإيجابية بمخالطة الناس والصبر على أذاهم فقال: «الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

بل حض على الإيجابية حتى آخر نفس وحتى آخر لحظة في الحياة: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها».

ونهى النبي **صلى الله عليه وسلم** عن العجز فقال: «ولا تعجز».

ونهى عن قول: «لو» التي هي شعار المحبطين فقال: «لا تقل: لو كان كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل».

سمات الفرد الإيجابي:

١- إيجابية الروح الإيمانية: ويكون ذلك بالعلم والعمل.

فالعلم يجعله يبصر مواضع قدمه وإلى أين يسير؟ والعمل به يزيد الإيمان وتعلوا المهمة وتزكو النفس فينبغي أن يكون له نصيب من كل نوع من أنواع العبادات حد أدنى لا يقل عنه.

فإن كل طاعة لها دورها في بناء النفس وتزكيتها وغذاء الروح وتطهيرها فيحرص على أوراده من العبادات ويجتهد أن يجعل أنفاسه كلها طاعات باحساب النية في كل عمل يعمل به وهذا يعينه على أن يجعل حياته كلها حركة وحيوية وهو يتبني بذلك وجه الله والدار الآخرة.

٢- إيجابية التصور وإدراك الأمور على حقيقتها:

ويكون ذلك بالآتي:

- (أ) معرفة الواقع كما هو لا بالتهوين ولا بالتهويل.
- (ب) الشعور بالمسؤولية تجاه ذلك الواقع وأنه هو المسئول عن إصلاحه وإن لم يوجد غيره وهو أيضًا مهموم بغيره يرى أنه مسئول عن الجميع.
- (ج) التفاؤل والأمل بالإصلاح.
- (د) إدراك سمات المنهج الإصلاحي.

٣- إيجابية الشعور والعاطفة:

- (أ) لا يعرف اليأس والإحباط.
- (ب) متفائل ومتوكل.
- (ج) الثبات الانفعالي، فهو ضابط لنفسه صبور حلیم واسع الصدر.
- (د) لا يستسلم للفشل.
- (هـ) ليس لديه روح الانتقام فلا ينشغل بالانتقام من غيره بل ينشغل بالبناء ودفع غيره للبناء (مثال يوسف عَلَيْهِ السَّلَام).

٤- إيجابية الحركة:

- (أ) هو سريع التجاوب، دائم الحركة والنشاط والعطاء.

(ب) لا ينتظر التكليف بل يبادر بطلبه ولا يكتفي به بل يتجاوز ذلك إلى البحث عن الثغرات التي لا يوجد من يسدها ويعمل على سد الثغور خلف غيره دون تبرم ولا رؤية للنفس، ويضفي على التكليف من روحه وحيويته لا يبحث عن الأعذار، وإنما يبحث عن سبل إزالتها، ولا يستهين بخير ولو كان شق ثمرة أو ابتسامة وهو حريص دائماً على المشاركة والتعاون على البناء، منفتح على الناس، منتج في كافة المجالات، عالي المهمة حكيم التصرف، يراجع ويصحح، يعمل على تطوير الموجود، دائم البحث عن المفقود، يحرص على تجاوز العقبات وعلاج السلبات.

كيف تصنع الإيجابية في كوادرفريق عملك؟

- ١- أن يوجد في الفريق من هو إيجابي بما فيه الكفاية.
- ٢- نقل الشعور بالمسئولية عن طريق القدوة واللقاءات والمعسكرات.
- ٣- وضوح التصور للأهداف الإستراتيجية بعيدة وقريبة المدى.
- ٤- بث الأمل دائماً قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقال عز وجل: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧].
- ٥- التواصل والتفاعل مع الفريق بحيث لا يقتصر على مجرد التكاليفات، والمتابعة بل تواصل يصنع بيئة حاضنة تشعره أن فريق العمل أسرة واحدة متعاضدة.
- ٦- توسيع دائرة التفكير الجماعي والمناقشات والمشاورات وإفساح المجال لطرح مشاريع إبداعية يشارك الجميع في طرحها وخلق مجال للإبداع وتفعيل ما يمكن تفعيله منها (ويمكن تحقيق هذا من خلال ورش العمل).
- ٧- توسيع دائرة المشاركة في اتخاذ القرار (الإدارة الحكيمة والرشيدة).

٨- استثمار الفاعليات المتاحة وخلق فاعليات أخرى لتشغيل الطاقات بما ينميها واكتشاف الطاقات الجديدة.

٩- التفويض المدعوم في الملفات.

١٠- القيادة الميدانية خاصة في مراحل التكوين والانتشار.

١١- أن تدرك أنه سيعجز قبل أن تكتشف أنه فشل (المتابعة الإيجابية).

سابعاً: صناعة التأثير بتقديم النماذج:

أولاً: تساؤلات وأجوبة:

لو سئل أحدنا سؤالاً: هل هذا الواقع الذي تحياه أمتنا يرضي الله ورسوله، هل أنت راض عن هذا الوضع؟ الإجابة: لا.

السؤال الثاني: هل تعتقد أن يتغير هذا الواقع إلى ما يرضي الله ورسوله؟

الجواب: نعم أؤمن بهذا لأنه وعد الله ووعد الله لا يخلف.

السؤال الثالث: هل سيحدث هذا التغيير الذي تؤمن به بأسباب أم بدون

أسباب؟

الجواب: قطعاً بأسباب هذه سنة الله في التغيير.

السؤال الرابع: من الذي سيبادر بتلك الأسباب أو من سيكون صاحب المد؟

الجواب: هو واجب على كل مكلف أن يقول: أنا الذي أبادر أنا صاحب المد الذي

قال عنه النبي ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها

إلى يوم القيامة».

وفي صحيح مسلم من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا عند رسول الله ﷺ

في صدر النهار، فجاء قوم حفاة عراة مجتايي النهار، أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم

من مضر، بل كلهم من مضر؛ فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة،

فدخل ثم خرج فأمر بلائاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، إلى آخر الآية والآية الأخرى التي في آخر الحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، إلى آخر الآية.

وبعد: تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمره، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

فهذا الصحابي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قدَّم ما يستطيع وهو ملء كفه أو يزيد قليلاً، ولم يخش استهزاء المنافقين بما قدَّم، وقولهم: إن الله غنى عن صدقتك المتواضعة هذه، إنه فعل ما يستطيع، وكانت النتيجة أن صار مثلاً يحتذى، ونموذجاً ينسج على منواله، فورد في شأنه هذا الحديث العظيم الذي سيظل بشرى له ولأمثاله من الأوائل في كل مجال إلى يوم القيامة فكل أول في شيء سيكون ممن سن في الإسلام سنة حسنة.

والإصلاح الذي نؤمن به فيه أمور هائلة يمكن لك أخي الكريم أن تكون فيها من الأوائل فهو إصلاح من القاعدة في كل المجالات.

ثانياً: تقديم النماذج:

وإنما يكون ذلك الإصلاح من القاعدة من خلال تقديم النماذج الإصلاحية في كل المجالات تلك النماذج التي تنطلق من كون الإسلام منهج حياة له مشروعه الحضاري المتميز الذي يتسم بالربانية والشمولية والواقعية.

أيها الأفاضل: إن الإصلاح ليس مجرد نظريات ينادى بها وشعارات يتغنى بها بدون نماذج عملية يرى الناس أثرها، وتأثير النماذج العملية أقوى وأعمق من آلاف الشعارات والنظريات التي ليس لها واقع عملي معبر عنها، ولذلك قالوا: فعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل.

تلك النماذج التي إذا أحسنا صناعتها وتقديمها وتفعيل دورها ستحدث آثارًا إصلاحية مضاعفة.

(أقوى أثرًا من قطعة الحجر التي لا تتعدى ثلاثة سنتيمترات في خمسة سنتيمترات والتي قلبت سيارة ضخمة من خلال تضاعف القوة) وهي تجربة علمية، فيها يوضع حجر صغير في حجم حجر الدومينو وبجواره (حجر متوازي مستطيلات) أكبر منه بعدة أضعاف وبجوار الأخير حجر أكبر وفي النهاية سيارة مثبتة على جانبها الخلفي وبللمسة صغيرة من أصبع شاب يقع الحجر الصغير على الحجر المجاور الذي يقع بدوره على المجاور حتى يقع الحجر المجاور للسيارة عليها فتقلب بأكملها فتكون لمسة ضعيفة من إصبع أحدثت قوة قلبت سيارة).

ولذلك فأصحاب المنهج الإصلاحي ينبغي أن يهتموا بتقديم النموذج على كل المستويات، أما النتائج والآثار الإصلاحية في المجتمع فهي إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** الذي يجعل القليل كثيرًا طالما أن العبد فعل ما يستطيعه.

لذلك فالواجب علينا تقديم النماذج الإصلاحية على كل المستويات وفي شتى المجالات.

* على مستوى الفرد والأسرة.

* على مستوى المجتمع.

* على مستوى الدولة ونظم الحياة.

فعلى مستوى الفرد: يهتمون بإيجاد الأفراد الذين يحملون المنهج علماً وعملاً فهماً وتطبيقاً يضربون أروع المثل في الفهم والإدراك والعلم والعمل والأخلاق والسلوك.

ومن أمثلة ذلك: نبي الله يوسف الذي ضرب أروع المثل في العفة حين دعتة المرأة ذات المنصب والجمال ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وعلى مستوى المجتمع: يهتم أصحاب المنهج الإصلاحي بإيجاد النموذج ولو على المستوى الضيق للمجتمع المتلاحم المتماسك المتراحم المتواد «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

فيهتم أصحاب المنهج الإصلاحي بأمور مجتمعاتهم: فيعملون على تخفيف الآلام، ورعاية الأرمال، وكفالة الأيتام، ومواساة المصاب، وتعليم الجاهل، والإصلاح بين الناس، والقيام بفروض الكفايات المستطاعة، وبذل الوسع واستفراغ الجهد في العمل على الإصلاح، وتكثير الخير والصالح، وتقليل الشر والفساد.

ومن أمثلة ذلك: وهو مثال عجيب في مجتمع ضيق وهو مجتمع المساجين وهو مثال نبي الله يوسف في سجنه.

قال ابن كثير: وكان يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث، وحسن السمات، وكثرة العبادة - صلوات الله عليه وسلامه - ومعرفة التعبير، والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مريضهم [٣٨٨/٤] دار طيبة.

فكان يحسن إليهم، ويخفف عنهم من آلامهم، ويعود مريضهم، ويسرّي عن مهمومهم.

وقد كان هذا حال النبي ﷺ من قبل بعثته حتى قالت له خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).

وأما النموذج على مستوى إصلاح نظم الحياة: فإنه لما كان اعتقاد كل مسلم أن الإسلام منهج حياة فإن أصحاب المنهج الإصلاحي ينبغي أن لا يقتصروا على مجرد الشعارات والعبارات الرنانة، وإنما ينبغي أن يقدموا النماذج العملية التي تعبر عن هذا والتي تدل على أن كل نظم الحياة يمكن أن تكون موافقة لهذا المنهج الرباني، وفي نفس الوقت تحقق التقدم والنمو والاستقرار، وذلك على جميع المستويات.

- نماذج تربط بين التفوق العلمي في كل المجالات وبين المبادئ والثواب الشرعية والأخلاق.

- وتربط بين السياسة وبين المبادئ والثواب الشرعية والأخلاق.

- تربط بين التقدم الاقتصادي وبين المبادئ والثواب الشرعية والأخلاق.

وخير مثال للعمل الإصلاحي على مستوى نظم الحياة، النموذج الذي ضربه نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَام، فقد سجن نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَام مظلوماً حين أبى أن يقع في الفاحشة واتهم ظلماً وظهرت براءته للقاضي والداني لكنهم أبوا إلا أن يودعوه السجن دون جريرة إلا إنه أبى أن يستجيب لفتنتهم فسجن مظلوماً في سجون دولة تؤله ملكها الظالم ومجتمع كافر تروج فيه الفاحشة والظلم فكيف كان ينظر إلى هذا المجتمع الكافر الذي يعبد ملكه الظالم الذي تسبب في سجنه، إنه كان ينظر بعين الشفقة والحرص على هذا المجتمع الذي هو محل دعوته وعمله الإصلاحي فبعد أن بقي في السجن ظلماً بضع سنين، وجاءه خبر رؤيا الملك نصح للمجتمع بأعظم نصيحة ينصح بها إنسان لقومه، فأخبرهم أن هناك سبع سنين قحط وجفاف ومهلكة لهم إن لم يستعدوا لها بتخزين المؤن الكافية من سنوات

الرخاء، ودلهم على الطريقة المثلى للتخزين ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ [يوسف: ٤٧]، ونصحهم بالاقتصاد في النفقة في سني الرخاء ليدخروا أكبر قدر ممكن لسنوات الشدة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ورسم لهم خطة اقتصادية ليست فقط خمسية، وإنما تمتد خمسة عشر عامًا ليعبر بهم إلى بر الأمان من مجاعة محققة تنتظرهم إن لم يستعدوا لها، كل هذا وهو في السجن ولا يظن أنه سيخرج منه، ولا يعلم أنه سيدعى ليشترك في الإصلاح العام للبلاد، لكنها النفوس الكبيرة التي تصلح للإصلاح والبناء لا للهدم والتخريب، ويرجع الرجل إلى الملك بتلك الخطة الإصلاحية العظيمة والنصيحة الخالصة التي أجبرت الملك على احترام هذا الرجل الناصح الأمين الذي لا ينتظر مقابلًا لنصيحته، بل ويحتمل ذلك الظلم الرهيب الذي طال بقاؤه تحت وطأته ولا يعلم متى سيرفع عنه.

هذا التصرف النبيل أجبر الملك في لحظة صحوة عقلية راعى فيها الصالح العام أن يستدعي ذلك الرجل الصالح المصلح ليشترك في الإصلاح وإنقاذ البلاد من هلاك محقق إن لم تتضافر الجهود المخلصة للنجاة منه، وجاء رسول الملك مرة أخرى إلى السجن ليدعو يوسف عليه السلام ليكون مستشار الملك ومساعدته للخروج من الأزمة، فما سارع صاحب تلك النفس الكبيرة إلى الخروج من السجن، وإنما ردَّ رسول الملك إليه ليعلن براءته أولاً بشهادة الشهود لأن العمل العام تؤثر فيه كثيرًا التهمة، خاصة في الشرف والعرض، فقال لرسول الملك: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠] ليعود رسول الملك إليه لتزداد لدى الملك القناعة أكثر وأكثر بهذه الشخصية العظيمة ويزداد بها تمسكًا لدرجة أنه يعلن براءته على الملأ بشهادة من اتهموه أنفسهم حتى زوجة العزيز نفسها التي كانت براءة يوسف إثباتًا للتهمة عليها لدى المجتمع ككل، فقالت: ﴿أَلَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رُودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١] وما هذا إلا بفعل تلك النفوس العظيمة التي تجبر الجميع على احترامها، هذه هي النفوس التي

تصلح للإصلاح والبناء لا تلك النفوس التي تعمل ليل نهار على تدمير المجتمعات المسلمة والتضييق عليها وإفقارها وتعجزها وتصل في النهاية إلى تكفيرها واستحلال دمائها وتخويفها وإرهابها.

ومن أمثلة النماذج في المجالات المختلفة، والمطلوب العمل وبكل قوة على

إيجادها وتنميتها وتفعيل دورها الإصلاحي:

١- نموذج الإنسان ذو الخلق الرفيع والبذل والعطاء الذي يحرص دائماً على مرضاة الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهو أيضاً متفوق في مجاله طبيياً كان أو مهندساً موظفاً كان أو تاجراً، عاملاً كان أو فلاحاً، رجلاً كان أو امرأة، شاباً كان أو فتاة يتحرك الجميع في شؤون حياته، وكأنه يحمل لواءاً مكتوباً عليه (الإسلام منهج حياة له مشروعه الحضاري المتميز المبني على أساس العمل بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة) يستظل بهذا اللواء أينما ذهب فلا يخالفه في سر ولا في علن، وهو يعلم أنه بموافقته لهذه المظلة العظيمة ينال أعلى وأعلى درجات السعادة والطمأنينة والرفق **﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾** [الأَنْفَال: ٢٤]، **﴿ فَلَنَحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾** [النحل: ٩٧].

٢- نموذج الأسرة المتماسكة الملتزمة بالهدي النبوي والسعيدة بذلك التي تحمل هم الدين والأمة التي تشارك المجتمع آلامه وآماله ولا تنعزل عنه، أسرة يتمنى كل من عرفها أن تكون أسرته مثلها.

٣- نموذج العمل الدعوي، ذلك العمل الذي يهتم بالدعوة الفردية والعامة، يهتم بتعليم العلم بمعناه الواسع وليس العلم الجزئي، وإنما فروض الأعيان منه وفروض الكفايات.

فينشر في المجتمع العلم بما لا يسع المسلم جهله متخذاً لذلك كل الوسائل المتاحة، سواء كان بصورة فردية أو مجموعات خاصة أو عامة أو ندوات ودورات أو حتى

في المناسبات أو أوراق أو كتيبات أو صحف أو مجلات أو إعلام مرئي أو مسموع أو عبر وسائل التواصل وقوافل دعوية.

هذا بالإضافة إلى الاهتمام ببناء الكوادر العلمية في جميع التخصصات سواء العلوم الشرعية أو العلوم المادية فكل ذلك من فروض الكفايات، بل يهتم هذا النموذج بمحو الأمية وتعليم الكبار.

٤- نموذج طالب العلم والداعية الذي يحرص على طلب العلم والعمل به، ويجد الناس بغيتهم عنده فيما يهتمهم في أمور دينهم، فلا يجدونه إلا مذكرًا لهم، واعظًا لهم، دالًّا لهم على الخير مشاركا لهم في أفراحهم وأتراحهم، يتعاون مع غيره في رفع المعاناة عنهم والتخفيف من آلامهم، يفصل بينهم في خصوصياتهم، يعود مريضهم، ويشهد جنازتهم، يهتم بشبابهم وأطفالهم، يسير بينهم بهدي النبي ﷺ الذي كان خلقه القرآن.

٥- نموذج العمل الطلابي الذي يقوم بتفعيل دور المتمنين إلى المنهج ليقوموا بدورهم في العمل الطلابي بكل مستوياته، كما يقوم باكتشاف الكوادر الطلابية وتنميتها والتنسيق بينها، وبث معالم المنهج الإصلاحي، وتوسيع دوائر التواصل مع الجميع، وتقديم رؤية إصلاحية واضحة كل في مجاله.

٦- نموذج كوادر نسائية: تلك الكوادر النسائية التي تدرك معالم منهجها الإصلاحي، وكيفية عرضه وطرحه والدفاع عنه، كما تدرك المخاطر التي تعترض هذا المنهج من قبل أصحاب المناهج الهدامة الذين يتذرعون ببعض القضايا العادلة للمرأة ليشوا سموهم المنهجية التي تهدم كيان المرأة والأسرة ومن ثم المجتمع.

٧- نموذج العمل النسائي الذي يقوم بتفعيل دور المتمنين إلى المنهج ليقوموا بدورهم في العمل النسائي، كما يقوم باكتشاف الكوادر النسائية وتنميتها والتنسيق بينها، وبث معالم المنهج الإصلاحي، وتوسيع دوائر التواصل مع الجميع، وتقديم رؤية

إصلاحية واضحة في جميع القضايا العادلة للمرأة، وعدم ترك هذه القضايا لمن يريد أن يتذرع بالعمل عليها ليث سموه الهدامة.

٨- نموذج العمل المجتمعي ذلك العمل الذي يتحقق فيه قول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» فلا يتركون مجالاً للعمل الخيري إلا سلكوه وبذلوا فيه وسعهم؛ من رعاية الأيتام والأرامل والفقراء والمرضى وذوي الاحتياجات، والأعمال ذات العلاقة بالمجتمع والتي تعود بالنفع على الجميع؛ من قوافل توعية ودعوة، وقوافل نظافة وخدمات طبية وزراعية وغيرها، وندوات تثقيفية تتعلق بشؤون حياة الناس من جهة الصحة والتعليم وتربية الأبناء وغيرها، وكل ذلك وهم لا يقصدون من ورائه جزاءً ولا شكوراً، وإنما يريدون وجه الله والدار الآخرة.

فهم يعملون على أن يكونوا ممن ينطبق عليهم قول الله عز وجل: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، فهم في اجتماعاتهم إنما يبحثون عن التعاون على جمع الصدقات وإيصالها لمستحقيها، وكيف يأمرهم بالمعروف بكل صوره من دعوة إلى الله، وتعليم للناس الخير وحثهم عليه، والقيام بفروض الكفايات المستطاعة، وكذلك من أعظم اهتماماتهم إصلاح ذات البين وفض المنازعات والخصومات بين الناس.

كل هذا وهم لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكوراً، وإنما ينتظرون من الله الأجر العظيم.

قال **عَنْ جَلٍّ**: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿[الإنسان].

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» وقال: «لأنَّ أمشي في حاجة أخي حتى أثبتتها له خير من أن أعتكف في مسجدي هذا شهراً».

٩- نموذج القيادة المجتمعية التي إذا حدثت ملمة لم يخطر على بال الناس إلا أن يذهبوا إليها، وإذا طرأ طارئ علموا أنهم لا بد أن يشركوه معهم في مواجهته، وإذا كان عند أحدهم مناسبة كان أول المشاركين فيها كأنه صاحب تلك المناسبة، وإذا أصابت أحدهم مشكلة كان شريكه في التفكير في حلها، يتحرك مع الناس في كل حاجاتهم لا يبخل عليهم بوقته ولا بفكره ولا بشيء يقدر عليه.

١٠- نموذج قيادات محلية: وهي تعتبر بالنسبة للقيادات المجتمعية وجهين لعملة واحدة، فما يقال هناك يقال هنا، ويزيد هنا القدرة على التواصل مع الجهات الإدارية المختلفة في الدولة للعمل على حل المشكلات التي تعترض الأفراد والمجتمع.

١١- نموذج عمل محلي: الذي يقوم بتفعيل دور المنتمين إلى المنهج ليقوموا بدورهم في العمل المحلي كما يقوم باكتشاف الكوادر المحلية وتنميتها والتنسيق بينها، وبث معالم المنهج الإصلاحي وتوسيع دوائر التواصل مع الجميع وتقديم رؤية إصلاحية واضحة كل في مجاله.

١٢- نموذج الكوادر التنفيذية والنقابية: تلك الكوادر التي يشار إليها بالبنان فلا رشوة ولا اختلاس ولا محسوبيات وإنما هو الحق والعدل والإنصاف، يعلم القاضي والداني عنهم هذا فيكونون كالشامات وسط زملائهم ليثبتوا أن القضاء على الفساد المالي والإداري ليس أمراً مستحيلاً.

وهي كوادرات تدرك قيمة العمل النقابي المنضبط البناء المؤثر الذي ينطلق من المبادئ الإصلاحية البناء التي تعلي من الصالح العام وتستثمر كل الجهود والطاقات للنهوض بالبلاد في جميع المجالات.

وهم في نفس الوقت يدركون جيداً معالم منهجهم الإصلاحي، ويعملون على تحويله إلى واقع عملي في الجانب الذي يخصهم من خلال تقديم ذلك النموذج المعبر عنه.

١٣- نموذج العمل النقابي الذي يقوم بتفعيل دور المتتمين إلى المنهج ليقوموا بدورهم في العمل النقابي كما يقوم باكتشاف الكوادر النقابية وتنميتها والتنسيق بينها، وبث معالم المنهج الإصلاحي وتوسيع دوائر التواصل مع الجميع، وتقديم رؤية إصلاحية واضحة كل في مجاله.

١٤- نموذج الكوادر الشبابية: تلك الكوادر التي تدرك معالم منهجها الإصلاحي وكيفية عرضه وطرحه والدفاع عنه كما تدرك المخاطر التي تعترض هذا المنهج من قبل أصحاب المناهج الهدامة الذين يتذرعون ببعض القضايا العادلة للشباب ليثبوا سمومهم المنهجية التي تشغل الشباب عن دوره في نصرة قضيته ورفع راية أمته بل يصنعون مسوخاً من الشباب لا هدف لهم إلا شهواتهم.

١٥- نموذج العمل الشبابي: الذي يقوم بتفعيل دور المتتمين إلى المنهج ليقوموا بدورهم في العمل الشبابي كما يقوم باكتشاف الكوادر الشبابية وتنميتها والتنسيق بينها وبث معالم المنهج الإصلاحي وتوسيع دوائر التواصل مع الجميع وتقديم رؤية إصلاحية واضحة في جميع القضايا ذات الصلة بالشباب وعدم ترك هذه القضايا لمن يريد أن يتذرع بالعمل عليها ليثب سمومه الهدامة، وكذلك يهتم القائمون على العمل الشبابي بتحصين الشباب ضد الأفكار الهدامة والمنحرفة.

١٦- نموذج الكوادر الأكاديمية المتخصصة والتكنوقراط: تلك الكوادر التي تحرص

على الترقى العلمي كل في مجاله، هدفه تحصيل أفضل ما توصل إليه البحث في ذلك المجال، بل والإبداع والابتكار فيه وهو مع ذلك مدرك لحقيقة منهجه الإصلاحي داع إليه ذاب عنه وأيضًا هو مدرك إدراكًا جيدًا للواقع من حوله.

١٧- نموذج العمل المتخصص: ذلك العمل الذي يقوم بتفعيل دور المتمين إلى المنهج ليقوموا بدورهم في العمل لصالح منهجه كل في مجاله خاصة أساتذة الجامعات والباحثين في مختلف المجالات البحثية، كما يقوم باكتشاف الكوادر المتخصصة وتنميتها والتنسيق بينها وبث معالم المنهج الإصلاحي، وتوسيع دوائر التواصل مع الجميع وتقديم رؤية إصلاحية واضحة كل في مجاله.

١٨- نموذج الكوادر الإعلامية: تلك الكوادر المتخصصة في المجالات الإعلامية المختلفة، والتي تدرك خطورة الإعلام وأثره الضخم سلبيًا أو إيجابيًا وتعمل جاهدة وباحتراف على خدمة المنهج الإصلاحي والدفاع عنه من خلال الإعلام بمختلف وسائله وتقديم نماذج إعلامية ناجحة وقوية مع التزامها بقواعد هذا المنهج.

١٩- نموذج عمل إعلامي: ذلك العمل الذي يقوم بتفعيل دور المتمين إلى المنهج ليقوموا بدورهم في العمل لصالح منهجهم في مختلف المجالات الإعلامية، كما يقوم باكتشاف الكوادر المتميزة وتنميتها والتنسيق بينها وبث معالم المنهج الإصلاحي وتوسيع دوائر التواصل مع الجميع وتقديم رؤية إصلاحية واضحة كل في مجاله.

٢٠- نموذج العمل السياسي البناء: ذلك النموذج من العمل الذي يتسم بالحكمة والوعي والواقعية في تصوره وأطروحاته وفي تعاملاته وتحركاته.

يلتزم في كل ذلك بمبادئه وأصوله لا يبني سياسته على الكذب والتضليل وهو مدرك لأبعاد العملية السياسية وما يحلوا للبعض أن يسميها اللعبة السياسية مدرك

لها ولسان حاله يقول مقولة الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَسْتُ بِالْخَبِّ (المخادع) وَالْخَبِّ لَا يَجِدُنِي».

عمل يعلي وبوضوح من الصالح العام و يترجم ذلك أطروحاته السياسية على كل المستويات.

- على مستوى التقنين تجد له أطروحات.
- على المستوى الاقتصادي تجد لهم أطروحات.
- على مستوى مجال الصحة والتعليم وكل المستويات تجد لهم أطروحات.
- على مستوى العقوبات التي تعترض أداء الدولة تجد لهم أطروحات ليست خيالية، وإنما هي قابلة للتطبيق في الواقع وهي منضبطة بضوابط الشرع الحنيف.

وهم في مسيرتهم السياسية يعتمدون السياسة البناءة لا الموالاة التي وظيفتها التصفيق الدائم ولا المعارضة الهدامة التي وظيفتها المعارضة من أجل المعارضة وعرقلة المسيرة.

والسياسة البناءة لها خمسة أركان سواء كان صاحبها جزء من الموالاة أو من المعارضة **تلك الأركان هي:**

(أ) دعم القرار والموقف الصحيح حتى لو كان من المنافسين السياسيين له لأن الموقف أو القرار الصحيح الصائب سيصب في المصلحة العامة، وهي مقدّمة على المصالح الخاصة.

(ب) تقديم النصيحة في حالة القرارات المحتملة للتصويب والتخطئة (التي ليس لديهم جزم بخطئها وضررها) فيقدمون النصيحة بوجهة نظرهم الإصلاحية، ولا يعملون على تشويه ذلك الموقف المحتمل لأنه يحتمل أن يكون هو القرار الصائب

ويكون التشويش عليه مانع من تفاعل الشعب معه مما قد يؤدي إلى إفشاله وهذا ليس في المصلحة العامة.

(ج) المشاركة في البناء وعدم التأخر في تقديم النصيحة الخالصة للجهة المختصة في المشكلات التي تواجهها والتي يكون لهم رؤية في حلها أو يستطيعون أن يشاركون بأنفسهم في حلها.

(د) المعارضة للقرارات والمواقف التي يرونها ضد الصالح العام أو تحمل ظلمًا لأحد فيعارضونها معارضة منضبطة بضوابط المعارضة البنائة المثمرة لا المعارضة التي تزيد الأمر تعقيدًا.

(هـ) إعمال قواعد الموازنات بين المصالح والمفاسد واختيار خير الخيرين ودرء شر الشرين عند اتخاذ القرارات والمواقف.

٢١- نموذج الكوادر السياسية: تلك الكوادر التي تدرك أبعاد منهجها الإصلاحي إدراكًا جيدًا كما تدرك الواقع السياسي بكل أبعاده محليًا وإقليميًا ودوليًا من خلال الدراسات المستمرة والقراءة الواعية للتاريخ السياسي والتجارب السياسية المختلفة ومن خلال التعامل مع الواقع.

كوادر تطور من قدراتها يوميًا بعد يوم، وترفع من كفاءتها باستمرار فلا تستكبر على التعلم ولا تحصيل الخبرة بالاحتكاك بالآخرين ممن لهم خبرة في جانب من تلك الجوانب.

كوادر تعمل وتعطي وتجد وتجتهد ولا تبتغي من وراء ذلك مكاسب دنيوية خاصة، وإنما المراد تحويل منهجهم الإصلاحي إلى واقع عملي يمشي بين الناس في أبهى حلة وأجل سيرة.

٢٢- نموذج كوادر إدارية للمؤسسات الإصلاحية المختلفة: تلك الكوادر التي تعمل إدارياً باحتراف خاصة وأن إدارة الأعمال التطوعية تحتاج إلى مهارات خاصة لكي تتمكن من تفعيل جميع الموارد وتعظيم ثمراتها، كما تستطيع مواجهة المخاطر التي تعترض الكيان الذي تنتمي إليه.

كوادر تعمل على الترقى الإداري والفكري الذي يؤهلها للقيام بدورها المنوط بها كل في مجاله.

٢٣- نموذج عمل مؤسسي وكيانات مؤسسية لكل مجال يحتاج إلى ذلك: ذلك العمل المؤسسي الذي ينمي أفراداً إدارياً ويرفع من كفاءتهم ويستخرج طاقاتهم ليتمكنوا كفريق عمل من القيام بواجباتهم الإصلاحية التي منها:

(أ) تفعيل دور الهيكل المؤسسي وتطويره والترقى بأفراده إدارياً وفكرياً وعلمياً.

(ب) اكتشاف الكوادر والنماذج في المجالات المختلفة وتنميتها رأسياً وأفقياً.

(ج) الترتيب والتوجيه لتعظيم دور تلك الكوادر في الإصلاح.

(د) عمل خطط واقعية للإصلاح في كل المجالات المستطاعة.

ثالثاً: تقديم النماذج وسنة التدافع:

لا ينبغي لأصحاب المنهج الإصلاحي وهم يقدمون هذه النماذج أن يستعجلوا أثرها أو ثمرتها، وإنما لابد أن يعلموا أنهم وهم يقدمونها سيجدون من العقبات والعراقيل الكثير والكثير والتدافع بين هذه النماذج الإصلاحية التي يقدمونها ونماذج أخرى مضادة لا يريد أصحابها للنماذج الإصلاحية أن يكون لها وجود، فوجودها يكشف عوارهم ويظهر خللهم فلا بد من الصبر وطول النفس فهذه طبيعة الإصلاح في كل زمان ومكان، فلا بد أن يعلموا جيداً أنهم تحكمهم سنن الإصلاح والتغيير والتي منها سنة التدافع بين نماذج الصلاح والفساد والخير والشر الذي تكون فيه الغلبة لمن

سلك سبل الإصلاح وراعى سننه، قال **عزَّجَلَّ**: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

والتدافع على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الإعذار:

وهي أن يقول ويقدم النموذج ولا يجد أثراً له، بل قد يجد من يشوه ويؤذي، لكن عدم رؤيته للأثر وحتى تعرضه للأذى لا يجعله يئأس أو يحبط أو يشك في منهجه أو طريقه، وحاديه في ذلك قول الله **عزَّجَلَّ**: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف].

المرتبة الثانية: مرتبة التأثير:

وهي أن يوجد من يقف مع هذه النماذج موقف المتدبر المتأمل الذي يمكن أن يقتنع بذلك شيئاً فشيئاً.

والنقلة من مرتبة الإعذار إلى مرتبة التأثير عند من يعلم طبيعة المنهج الإصلاحي نقلة كبيرة قد تأخذ وقتاً طويلاً، ولذلك فلا ملل ولا استعجال طالما أنهم يبذلون ما في وسعهم. وقد يحدث التأثير بل والتغيير في بعض القضايا ويظل بعضها في مرتبة الإعذار، فيلزم أصحاب المنهج الإصلاحي أن يستمروا في جدهم واجتهادهم على كل المستويات قدر طاقتهم، ولا يقصروا في المستطاع لديهم سواء كان في مرتبة الإعذار أو التأثير.

المرتبة الثالثة: مرتبة التغيير:

فهذه المرتبة مع أن الاجتهاد في الإعذار والتأثير من أسبابها، إلا أنها محض فضل من الله **عزَّجَلَّ**، ليس على أصحاب المنهج الإصلاحي وحدهم، وإنما على المجتمع كله،

ولا يستحق المجتمع هذا التغيير إلا بسنته التي لا تبدل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

لذلك فقد يبذل أصحاب المنهج الإصلاحي طاقتهم وجهدهم ويبذلون الأسباب للإصلاح والتغيير، لكن قد لا يكون المجتمع مستحقاً لهذا التغيير بعد ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان؛ إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم؛ إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله؛ إلا سلب الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله؛ إلا جعل الله بأسهم بينهم».

لذلك لا ينبغي لأصحاب المنهج الإصلاحي أن ينزعجوا أو ييأسوا بل عليهم أن يستمروا في العمل على جميع المستويات الإصلاحية حتى يصلوا بالمجتمع إلى مرتبة التغيير والإصلاح، فهذا الجد والاجتهاد في حد ذاته عبودية يؤجرون عليها في الآخرة وإن لم يروا ثمرتها في الدنيا.

ولابد أن يتحلوا بطول النفس وعدم الاستعجال والصبر واحتمال الأذى.



الخاتمة

قد رأينا من خلال هذه السمات كيف أن المنهج الإصلاحي منهج يخاطب العقول والقلوب معاً.

فهو منهج واقعي لا خيالي منهج يتحرك في أرض الواقع على كل الفئات ليرتفع بالجميع تدريجياً وهو يطمح إلى الوصول إلى أعلى الغايات لكن بلا مجازفات أو تهور.

منهج يواجه بتحديات وعقبات عالمية وإقليمية ومحلية وداخلية لكنه منهج لا يعرف أصحابه اليأس أو الإحباط مهما كانت العقبات فهم يتقربون إلى الله ببذل أسباب الإصلاح قدر طاقتهم مع يقينهم بأن حدوث الإصلاح إنما هو بيد الله عَزَّوَجَلَّ فإن رأوا الثمرة فتلك عاجل بشرى المؤمن، وإن لم يروها فحسبهم أنهم تعبدوا ببذل جهدهم في الأسباب تقرباً إلى الله وكلهم ثقة أن هذه الأسباب سيكون لها ثمرتها وستؤتي أكلها يوماً من الأيام وإن لم يروها هم بأعينهم.

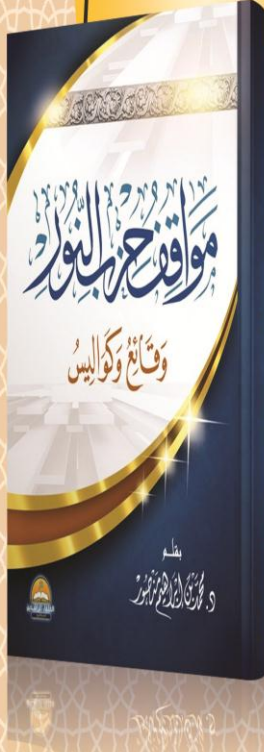
فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من الصالحين المصلحين وأن يجزي خيراً من أعان على نشر هذه الرسالة ولو بدلالة غيره عليها أو بيان شيء منها آمين.



الفهرس

٥.....	تقديم فضيلة الشيخ ياسر برهامي
٧.....	تقديم فضيلة الشيخ عادل نصر
٩.....	المقدمة
١٣.....	الفصل الأول: سمات المنهج الإصلاحي
١٥.....	السمة الأولى: الربانية
١٩.....	السمة الثانية: الشمولية
٢٥.....	السمة الثالثة: البصيرة
٣٠.....	السمة الرابعة: منهج قائم على العلم والعمل، والدعوة والتربية والتزكية
٣٨.....	السمة الخامسة: وضوح المفاهيم
	السمة السادسة: تعظيم أمر الدماء والاعتدال في النظر إلى المجتمعات ومؤسسات الدول
٤٥.....	الإسلامية
٥٠.....	السمة السابعة: مراعاة السنن الشرعية والكونية في الإصلاح والتغيير
٥٤.....	السمة الثامنة: منهج لا يأس معه ولا إحباط
٥٦.....	السمة التاسعة: التدرج والعمل على جلب المصالح وتعظيمها، ودرء المفاسد وتقليلها
٦١.....	السمة العاشرة: طبيعة حركة المنهج في المجتمعات كالنهر الجاري لا كالصخور المتحدرة
٧٢.....	السمة الحادية عشرة: حملة المنهج هم أصحاب النفوس الكبار لا أصحاب النفوس المشوهة
٧٧.....	السمة الثانية عشرة: منهج يحمل في طياته عوامل الإحياء الحضاري
٨٣.....	السمة الثالثة عشرة: اعتماد السياسة البناءة في مجال إصلاح نظم الحياة
٨٩.....	الفصل الثاني: التحديات والمعوقات
١١١.....	الفصل الثالث: وسائل المنهج الإصلاحي
١٥١.....	الخاتمة
١٥٢.....	الفهرس

من إصداراتنا



توزيع

الإسكندرية - أبو سليمان - ش عمر

أمام مسجد الخلفاء الراشدين

٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦ - ٠١٠٥٠١٣١٥١

dar_alkholafaa@yahoo.com



الخلفاء الراشدين

دار الخلفاء

الإسكندرية - بمصطفى كامل

بجوار مسجد الفتاح الإسلامي

٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧ - ٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦

dar_alfath@gawab.com



دار الفتح